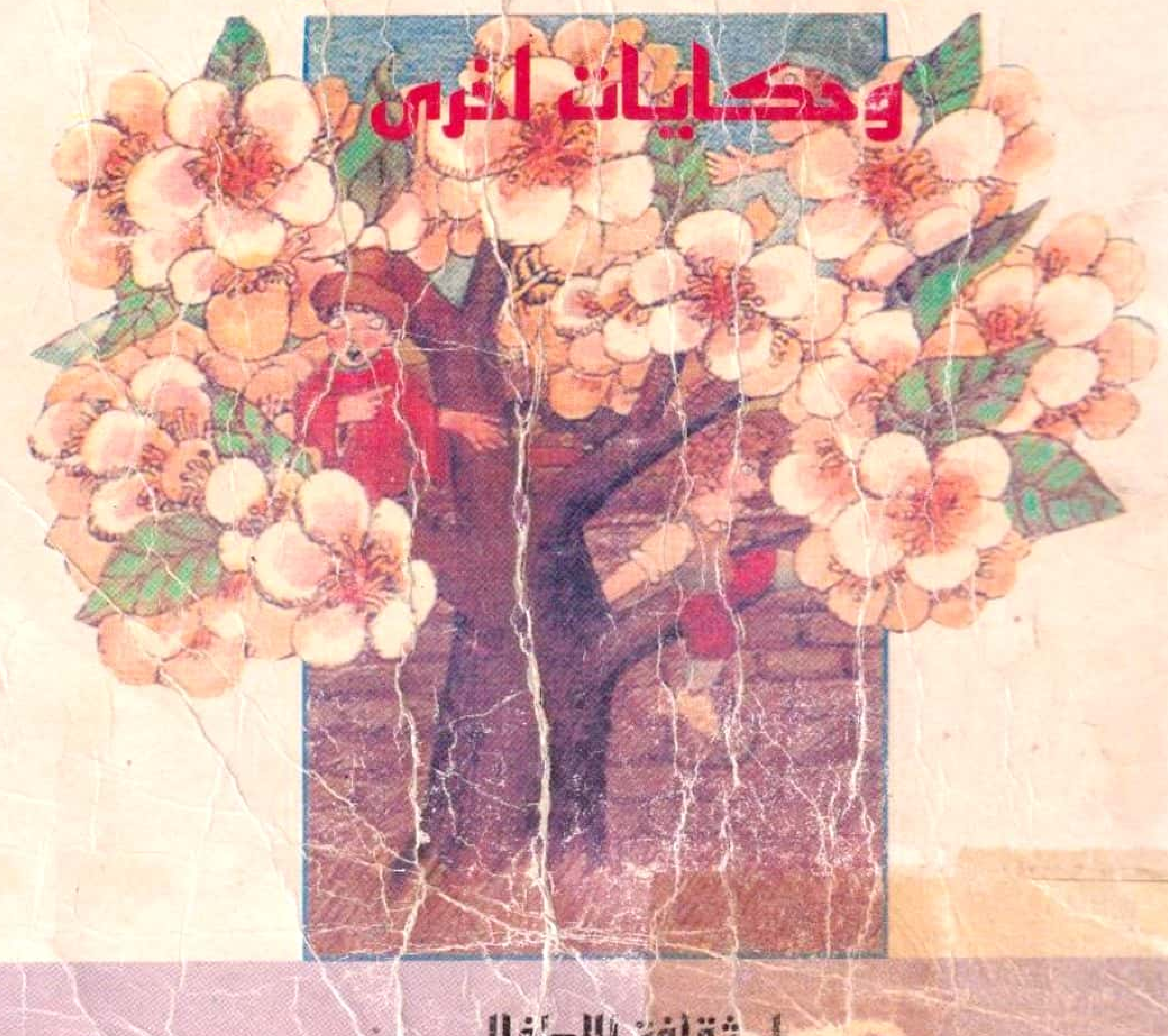
اوسكار وايلد

ترجمة

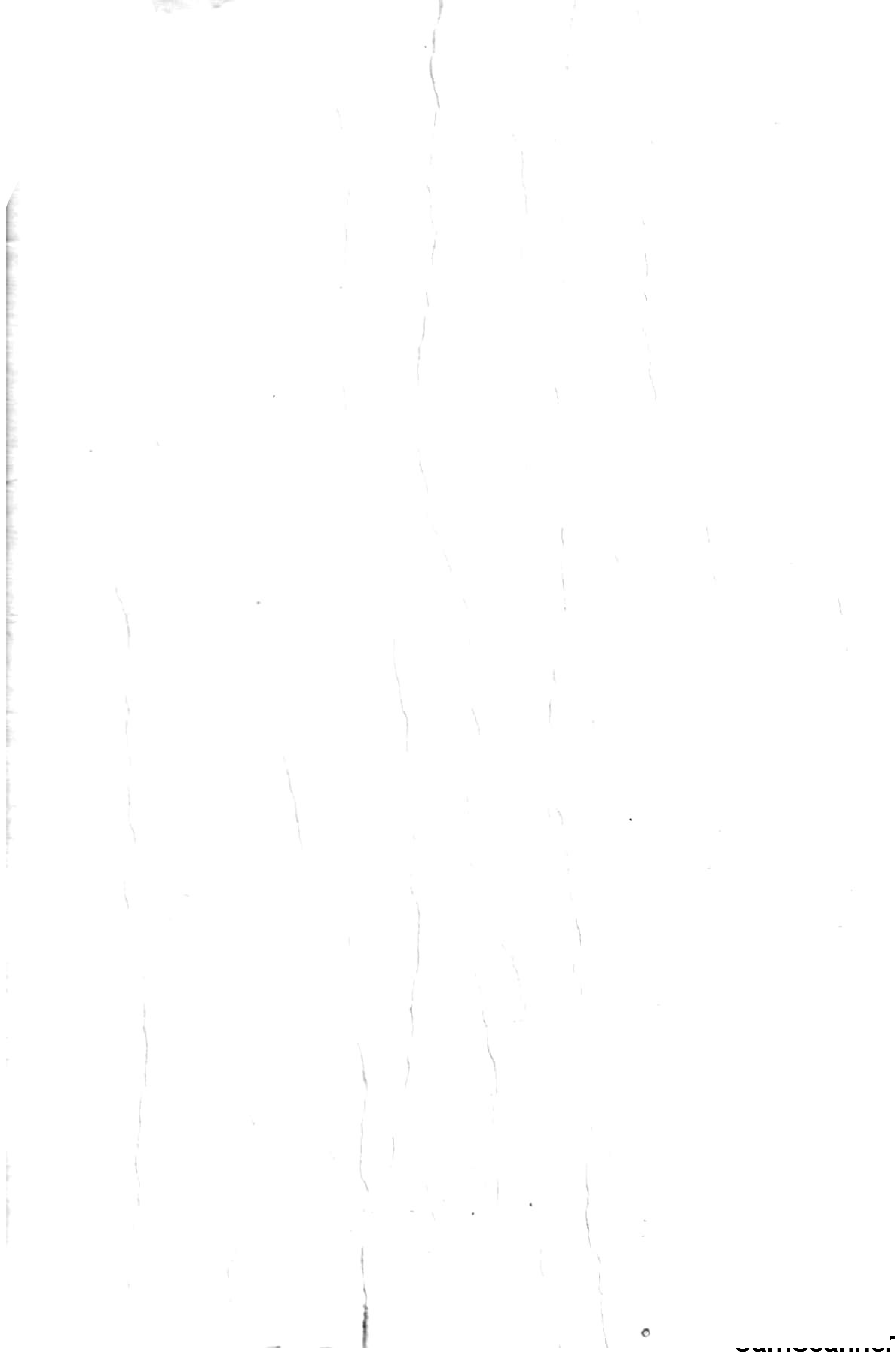
جبرا ابراهيم جبرا

الامير السعيد

وحكايات اخرى



ثقافة الاطفال



الامير السعيد

وحكايات اخرى

اوسكار وايلد

ترجمة

جبرا ابراهيم جبرا

الامير السعيد
ترجمة جبرا ابراهيم جبرا
الطبعة العربية الاولى ١٩٩٠

الناشر وزارة الثقافة والاعلام ـ دار ثقافة الاطفال
العراق ـ بغداد بريد ٨ شباط ص . ب ٨٠٤١

سلسلة مكتبتنا

تصدر عن قسم النشر في دار ثقافة الاطفال
المدير العام: فاروق سلوم
سكرتير التحرير: فاروق يوسف

الأمير السعيد
وحكايات أخرى

الى

سرمد وعبد الله وزياد

اوسكار وايلد

١٨٥٤ ـ ١٩٠٠

ولد مؤلف هذه الحكايات في دبلن، عاصمة ارلنده، وتلقى العلم في كلية ترينيتي فيها، ثم في جامعة اكسفورد بانكلترا، حيث حصل في سنة تخرجه، عام ١٨٧٨، على جائزة نيوديغت في الشعر عن قصيدته «رافينا». وكانت تلك بداية شهـرة أدبية واسعة عاش اوسكار وايلد في وهجها، واصابه منها كثير من التمجيد، وكثير من العذاب.

وقد عُرف منذ البداية بشخصيته المتفردة بافراطها بالتأنق في اللباس والابهار في صوغ العبارة، اذ كان دائم الاصرار على اولوية الجمال في كل عمل، جاعلاً من الجمالية طريقة في الحياة، مما أثار عليه الكثير من النقد والاستهجان الى جانب ما اجتذب من اعجاب كبير أينما ذهب.

وكان منذ البداية ايضاً حاضر النكتة، يفيض كلامه الأخّاذ بابتكارات من القول مركّزة الكلمات وتضجّ بالمفارقات البارعة. وكان إلى دفقه في الحديث سريع البديهة، يسعفـه خيالـه في اختلاق الاقاصيص الغريبة عفو الخاطر، يرويهـا باسلـوبه الخاص فيسحر سامعيه، يضحكهم ويقلقهم، ولا ينسَوْن ما

سمعوه منه. وهو الذي قال: «وضعت موهبتي في كتاباتي، ووضعت عبقريتي في أحاديثي.» وبعض هذه الأحاديث سجّله لنا عدد من أصدقائه الأدباء فيما بعد.

أصدر ديوانه الأول عام ١٨٨١، ومُثِّلت مسرحيته الأولى «فيرا» عام ١٨٨٣، وهو في التاسعة والعشرين من عمره. وجاءت كتاباته القصصية والنقدية في سيل متواصل بعد ذلك في عدد من المجلات الأدبية والفنية. وتزوج وهو في الثلاثين، وبعد ذلك بأربع سنوات، عام ١٨٨٨، نشر «الأمير السعيد وحكايات أخرى». وهي حكايات كتبها لولديه، مستلهما فيها الحكايات الشرقية، والعربية، وحكايات هانس اندرسون، على غرار عاد إليه مرة أخرى في مجموعته «بيت الرمّان» عام ١٨٩١.

وفي تلك السنة نشر «جريمة اللورد آرثر سافيل وقصص اخرى»، وروايته الوحيدة، المدهشة بموضوعها واحداثها، «صورة دوريان غراي». وفي السنوات الخمس التالية، اصدر عدداً من الكتب النقدية، وكتب عدداً من المسرحيات حظيت بنجاح كبير وجعلت اسمه على كل لسان في الوسط الادبي والاجتماعي في انكلترا وفرنسا والولايات المتحدة، كانت اشهرها رائعته «اهمية ان تكون جاداً» (١٨٩٥)، و «سالومي»، التي كتبها بالفرنسية. غير ان «سالومي» منع عرضها في لندن، فقدمتها في باريس اكبر ممثلات ذلك العصر، ساره برنار، عام ١٨٩٦.

وفي تلك الاثناء كان قد وقع ضحية حملة تشهيرية عن طريق القضاء، ناصبه فيها العداء المركيز كوينزبري، والد صديقه الحميم اللورد الفريد دوغلاس (الذي ترجم «سالومي» الى الانكليزية)، أثارت الرأي العام، وأدّت الى الحكم عليه بالافلاس والسجن لمدة سنتين.

وفي عام ١٨٩٧، عند خروجه من السجن، وقد منعت مسرحياته، وأعرض عنه معظم الذين كانوا يطيرون فرحاً لكلمة منه، ذهب الى فرنسا باسم مستعار، وهو في حالة مريعة من الفقر واليأس، وتعرّض لمهانات الاملاق. ولكن بعض الفرنسيين الذين كانوا يعرفونه رعوه بعناية وحب. وهناك لم يكتب إلّا قصيدته الطويلة المشهورة «أغنية سجن ريدنغ» حول تجربته الاليمة، وضع فيها خلاصة شعرية للكثير من آرائه.

وقد أعانه في فرنسا نفر قليل من الاصدقاء ببعض النفقات، وفي السفر الى ايطاليا في رحلة تمتع بها ودامت بضعة اسابيع، والكل يؤمل منه ان يعود الى الكتابة مرة اخرى، عبثاً. غير انه بقي ذلك المتحدث الذي يسحر سامعيه بجمال صوته ولذع اقواله ومفاجآت حكاياته. وبعد سنتين من البؤس وتحمل الديون، توفي في احد الفنادق الحقيرة في باريس عام ١٩٠٠، ودفن في العاصمة الفرنسيّة.

غير ان شهرته سرعان ما عادت وانتعشت، وانتصف له النقاد والدارسون. فنقلت رفاته عام ١٩٠٩ الى مقبرة العظماء (مقبرة «پير لاشيز») في باريس، حيث أقيم على ضريحه نصب

نحتي كبير. وقد تعاظمت شهرته منذ بدايات القرن، مشيرة الى عبقريته، ومؤكدة مكانته في تاريخ الادب الانكليزي، وتاريخ المسرح، معاً. فروايته، وحكاياته، ومقالاته النقدية راحت كلها تتوالى طبعاتها، وتترجم الى اللغات الاخرى. وعادت مسرحياته لتقدم على مسارح العالم باستمرار، وبنجاح متواصل.

وحكايات «الامير السعيد»، التي حظيت بشعبية كبيرة في انكلترا وفرنسا حال نشرها، وما زالت حتى اليوم، تجوهر بعضاً من اسلوبه، وتبرز إيمانه بقداسة الحياة والبراءة الطفولية، وحبه للفقراء والمضطهدين، وسخريته من ذوي المال والسطوة الذين كان يحلو له ان يفضح نفاقهم وغرورهم. وأفعم حكاياته جميعاً بروح الشعر الذي كان هو مجليا فيه، واجداً في هيكلية الحكاية الشرقية التي تبنّاها مجالاً لتحميل النثر الكثير من طاقة القصيدة.

ورغم تحجّجه بأنها حكايات للصغار، فقد اراد لها ان يقرأها الكبار قبلهم ـ الامر الذي يفسر العديد مما فيها من النقدات المتقصدة والمفارقات الساخرة، التي كانت من ميزات كل شيء قاله او كتبه طوال حياته الادبية.

جبرا ابراهيم جبرا

الأمير السعيد

على عمود شاهق يعلو المدينة، انتصب تمثال الامير السعيد. كان مكسواً كله باوراق رقيقة من الذهب الخالص، وله مكان عينيه ياقوتتان زرقاوان تتألقان، وعلى مقبض سيفه تتأجج ياقوتة حمراء.

وكان الناس معجبين به اشد الاعجاب. فقال احد اعضاء البلدية ممن يودون ان يعرفوا بين الناس بذوقهم الفني: «انه جميل كالديك الذي يدل على اتجاه الريح،» ثم اردف: «غير انه ليس مفيدا مثله.» قال ذلك خشية ان يظن الناس انه ليس بالرجل العملي - وهو لم يكن الا رجلا عمليا.

وسألت أمٌ طفلها وهو يبكي ويطلب القمر: «لم لا تكون كالامير السعيد؟ انه لا يخطر بباله ان يبكي طلباً لشيء ابدا.».

وتمتم رجل خائب الامل اذ رفع بصره الى التمثال الرائع: «يسرني ان في الدنيا من هو حقا سعيد.»

وقال الصبيةُ وهم خارجون من الكنيسة العظيمة ببُرَدِهم الارجوانية وقمصانهم الناصعة البياض: «ما اشبهه بالملائكة!»

فقال استاذ الرياضيات: «وكيف عرفتم ذلك؟ انكم لم تروا ملاكا قط.»

اجاب الصبية: «لكننا رأينا ملائكة في احلامنا.» فقطب استاذ الرياضيات حاجبيه حنقا، اذ لم يكن يروق له ان يرى الاولاد احلاما.

وفي ذات ليلة حلّق في سماء المدينة سنونو، كان رفقته قد هاجروا الى مصر منذ اسابيع ستة. لكنه تخلف عنهم لانه كان يعشق قصبة حسناء، رآها في اوائل الربيع حين اسف على النهر وراء فراشة صغيرة، فبهره خصر القصبة النحيل، وتريث برهة ليخاطبها.

قال السنونو (وكان يؤثر ان يعبر عما في صدره مباشرة): «أأحبك؟» فانحنت له القصبة انحناءة لطيفة. فراح يحوم حولها ويحوم، ضاربا المياه بجناحيه، ومرسلا دوائر فضية حوله. هذه كانت مغازلته وهذه مداعبته، وقد دامتا طيلة الصيف كله.

فزقزقت عصافير السنونو الاخرى قائلة: «سخف منه ان يعشق قصبة مثلها، فهي لا مال عندها، واقرباؤها اكثر من ان يحصوا». فضلا عن ان النهر كان مملوءاً بالقصب. فلما قدم الخريف، رحلت عصافير السنونو من ذلك المكان.

وعندما غادرته شعر بالوحشة، وبدأ يملّ حبيبته، فقال: «انها لا تقوى على الكلام، واخشى انها ايضا لعوب، لانها دائماً

تغازل الريح». وفي الحق كانت القصبة تنثني برشاقة فاتنة كلما هبت الريح. فاستأنف الكلام: «لا انكر انها تحب مسكنها، غير انني اعشق الترحال، وعلى زوجتي ان تعشق الترحال مثلي.»

وفي النهاية قال لها: «اتودين الذهاب معي؟» ولكن القصبة هزت برأسها ان لا، لتعلقها بمنزلها حيث تقيم.

فصاح: «اذن قد خدعتني! انني طائر الى الاهرام، فالوداع»! وحلق في الجو، وبقي محلقاً طيلة النهار. ولما كان الليل، بلغ المدينة فقال: «وأين انزل الان؟ ارجو ان تكون المدينة قد هيأت امكنة للنزول.»

ثم رأى التمثال على العمود الطويل فصاح: «هناك سوف أحل! انه مكان جميل يملؤه الهواء النقي.» ثم حَطّ بين قدمي الامير السعيد.

ولما اجال بصره حوله قال: «حجرتي من ذهب.» وتهيأ للنوم. ولكنه ما كاد يضع رأسه تحت جناحه، حتى سقطت عليه قطرة ماء. فصاح: «عجبا! ليس في السماء اية سحابة، والنجوم متلالئة ساطعة، فكيف يهطل المطر؟»

ثم سقطت قطرة اخرى.

فقال: «وما نفع تمثالٍ لا يقي اللاجىء اليه من المطر؟ فلأذهب وأبحث لنفسي عن مدخنة» وعزم على الطيران.

غير انه قبل ان يبسط جناحيه، سقطت قطرة ثالثة، ونظر فوقه فرأى ـ آه، ماذا رأى.

كانت عينا الامير السعيد طافحتين بالعبرات، وخداه الذهبيان مبللين. وكان وجهه في ضوء القمر فتانا، ملأ قلب السنونو رأفة وحنوّا.

قال: «من انت؟»

«انا الامير السعيد.»

فسأله السنونو: «اذن لماذا تبكي؟ قد كدت تغرقني.»

اجاب التمثال: «ايام كنت حياً احمل قلب انسان، لم اعرف الدموع قط، اذ كنت اقيم في «قصر الافراح» حيث لا يؤذن للاحزان بالدخول، اقضي النهار لاعبا مع أقراني في الحديقة، والليل راقصا في القاعة الكبرى. وكان حول الحديقة سور شاهق، الا انني لم اكلف نفسي مؤونة السؤال عما وراءه، لان ما حولي كله جميل. وكان اقراني يدعونني بالامير السعيد. وسعيدا كنت حقاً، اذا كانت اللذات هي السعادة، هكذا عشت وهكذا مت. وبعد موتي وضعوني في هذا المحل الشاهق حيث ارى كل ما في المدينة من قبح وشقاء، فجعلت وان يكن قلبي من رصاص لا استطيع الا البكاء.»

فتساءل السنونو في نفسه: «ماذا؟ أوليس كله من ذهب صلد؟»

وراح التمثال يتمم كلامه بجس موسيقي منخفض: «بعيداً بعيداً ارى بيتاً فقيراً في حي صغير. احدى نوافذه مفتوحة، ارى خلالها امرأة جلست الى مائدة، وجهها نحيف هزيل،



ويداها حمراوان خشنتان موخزتان بالابر لانها خياطة، وهي توشي بالزهور ثوباً حريرياً لاجمل وصيفات الملكة لترتديه في حفلة الرقص المقبلة. وفي ركن من الغرفة سرير رقد فيه طفلها المريض. انه يعاني برحاء الحمى، وهو يطلب برتقالاً. بيد ان امه ليس لديها ما تعطيه غير ماء النهر، ولذا فانه يبكي. ايها السنونو، ايها السنونو الصغير! هلّا اخذت اليها الياقوتة التي في مقبض سيفي؟ قدماي مثبتتان بهذه القائمة، وليس بوسعي ان اتحرك.»

فقال السنونو: «رفقتي يترقبونني في مصر، حيث يحلّقون ويسفون فوق مياه النيل، ويتحدثون الى زهور اللوتس الكبيرة. وعما قريب سيذهبون الى قبر الملك الاكبر ليناموا هناك. والملك نفسه نائم هناك في نعشه المزخرف، وهو ملفوف بثوب اصفر، محنط بالعقاقير. وحول عنقه قلادة من حجر اخضر فاقع، ويداه كورقتين ذابلتين.»

قال الامير: «ايها السنونو، ايها السنونو الصغير! هلا اقمت معي الليلة وكنت لي رسولا. ان الولد يحرقه الظمأ والأم ينوشها الالم.»

فاجاب السنونو: «ما اظنني احب الاولاد. ففي الصيف الماضي حين كنت على النهر، كان ولدان وقحان يرميانني بالحجارة. لم يصيباني قط بالطبع، فنحن معشر السنونو نطير بسرعة فائقة، وانا، فوق هذا، من اسرة عرفت بالخفة العجيبة.

لكن ذلك منهما كان دليل القحة وعدم الاحترام.»

فحزن الامير السعيد حزناً شديداً، ورأى السنونو ذلك فرق قلبه، وقال: «سأقيم الليلة معك وان يكن البرد هنا قارساً، واكون رسولك.»

فشكر له الامير ذلك، والتقط السنونو الياقوتة الثمينة من سيف الامير، وطار بها وهي في منقاره فوق اسطح المدينة.

مرّ بقبة الكنيسة حيث نُحتت ملائكة بيض من رخام. ومرّ بالقصر، فسمع اصوات رقص، وخرجت فتاة حسناء مع حبيبها الى الشرفة فقال لها: «ما اعجب النجوم! وما اعجب سلطان الحب!»

فاجابت: «ارجو ان يتم ثوبي قبل موعد حفلة الرقص الكبرى. لقد أمرت ان يوشى الثوب بالزهور، لكن الخياطات كسولات.»

ومر فوق النهر ورأى القناديل معلقة على سواري السفن. ومر فوق حي اليهود فرأى الشيوخ منهم يتساومون ويزنون النقود في موازين من نحاس. واخيراً بلغ البيت الفقير. فنظر الى الداخل، وإذا الولد يتقلب محموماً في فراشه، والام قد انهكها التعب فنامت. فاندفع في الغرفة، والقى الياقوتة الثمينة على المائدة. ثم جعل يحوم حول سرير الولد، ويرفرف على جبينه بجناحيه، فقال الولد: «آه لقد انتعشت. غادرتني الحمى، ولا ريب انني في تحسن.» ثم غرق في نوم هنيء.

بعد ذلك عاد السنونو الى الامير السعيد واخبره بما فعل، ثم قال: «عجبا! إني لاشعر بالدفء مع ان الجو قارس!»

فقال الامير: «ذلك لانك أتيت عملا صالحا.» فاطرق السنونو مفكرا، لكن النوم أخذه، لان التفكير كان دائما ينعسه.

ولما انبثق الفجر طار الى النهر ليستحم. فرآه استاذ علم الطيور فقال: «ما اعجب هذه الظاهرة! أسنونو في الشتاء؟» وللحال كتب مقالا مستفيضا الى الجريدة المحلية، وراح الجميع يرددون ما فيه، لانه كان مليئاً بكلمات لا يفهمونها.

وقال السنونو: «ساذهب الليلة الى مصر.»

ثم طفق يزور النصب القائمة في المدينة كلها، وقعد مدة طويلة على برج الكنيسة. وحيثما ذهب كانت تراه عصافير الدوري مزقزقة، فيحدث بعضها بعضاً: «يا له من زائر عجيب!»

ولما ارتفع القمر في كبد السماء عاد السنونو الى الامير السعيد، وصاح: «ألك رسالة الى مصر؟ اني على وشك الرحيل.»

قال الامير: «ايها السنونو، ايها السنونو الصغير! هلا اقمت معي ليلة أخرى؟»

فاجاب السنونو: «رفقتي يترقبونني في مصر. وغدا سيطيرون الى الشلال الثاني، حيث يتمرغ فرس البحر بين بردي النهر، والاله ممنون متربع على عرش عظيم من حجر الغرانيت. انه يرقب النجوم طيلة الليل، فاذا طلع نجم

الصباح، صاح صيحة فرح واحدة ثم اطرق ساكنا. وعند الظهر ترد الاسود الصفراء الى حافة النهر لتشرب، وعيونها زبرجد اخضر، وزئيرها اعلى من زئير الشلال.»

قال الامير: «ايها السنونو، ايها السنونو الصغير! أرى في اقصى المدينة شاباً في غرفته الصغيرة. لقد انحنى على منضدة كستها الاوراق، وفي إناء بجانبه باقة من بنفسج ذابل. شعره كستنائي جعد، وشفتاه حمراوان كالرمان، وعيناه واسعتان حالمتان. انه يحاول ان ينهي مسرحيته لمدير المسرح، ولكن البرد قد نال منه، ولا يستطيع ان يتمم الكتابة. لا نار في موقده، وقد كاد من الجوع ان يغمى عليه.»

فقال السنونو الطيب القلب: «اذن اقيم عندك ليلة اخرى. أآخذ اليه ياقوتة اخرى؟»

قال الامير: «واأسفاه، ليس لدي ياقوت احمر الان. ولم يبق لي غير عينيّ. وهما من ياقوت ازرق نادر أخْضر من الهند منذ الف سنة. فاقتلع احداهما وخذها اليه، ليبيعها الى الصائغ ويشتري طعاما وحطبا، ويتمم مسرحيته.»

فبكى السنونو وقال: «اميري العزيز، لا اقدر ان افعل ذلك.»

قال الامير: «ايها السنونو، ايها السنونو الصغير، افعل ما أمرتُك به.»

ولما اقتلع السنونو عين الامير وطار بها الى غرفة الفتى، ولم يجد عنتاً في الدخول، اذ رأى ثقباً في السطح دخل منه الى

الغرفة. كان رأس التلميذ غارقا بين يديه، فلم يسمع رفـرفة جناحيه، ولما رفع عينيه رأى الياقوتة بين البنفسج الذابل.

فصاح: «بدأ الناس يقدرون فني، وهذه الزمردة من معجب عظيم! سأستطيع الان ان اتمم روايتي!» وغدا سعيداً جداً.

وفي اليوم التالي طار السنونو الى الميناء، وقبع على سارية سفينةٍ كبيرة يرقب الملاحين يرفعون صناديق ضخمة من العنبر بالحبال، ويصيحون «هيلا!» كلما ارتفع صنـدوق في الهواء. فصاح السنونو: «اني ذاهب الى مصر!» غير ان احدا لم يعره اهتماماً. ولما طلع القمر عاد الى الامير السعيد وصاح: «جئت أودعك.»

قال الامير: «ايها السنونو، ايها السنونو الصغير، هلا أقمت معي ليلة اخرى؟»

فاجاب السنونو «هذا فصل الشتاء، وسرعان ما سيدهمنا الثلج القارس. اما في مصر فالشمس دافئة فوق اشجار النخيل الخضراء، والتماسيح ترقد في الاوحال كسولة تنظر حـولها، ورفقتي يعششـون في هيكل بعلبـك ترقبهم الحمـائم الحمر والبيض فتغمغم بهديلها. اميري العزيـز، لابد من الـرحيل. لكنني لن انساك ابدا، ولسـوف اجلب لك في الـربيع المقبـل جوهرتين جميلتين مكـان تينك اللتـين جُدتَ بهمـا. وستكون احداهما اشـد احمرارا من وردة حمـراء، والاخرى زرقـاء كالبحر العظيم.»



قال الامير: «في الميدان الذي تحتنا صَبيّة تبيع الكبريت، وقد سقط ما معها من الكبريت في الساقية، فتلف كله. ولكن اباها سيضربها ان هي لم تعد اليه بشيء من النقود. فهي لذلك تبكي، حافية القدمين، لا حذاء ولا جوارب، ورأسها عار. فاقتلع عيني الاخرى وأعطِها اياها، لعل اباها لا يضربها.»

فقال السنونو: «سأقيم معك ليلة اخرى، لكنني لا استطيع ان اقتلع عينك، والا اصبحت اعمى.»

قال الامير: «ايها السنونو، ايها السنونو الصغير، افعل ما امرتك به.»

فاقتلع السنونو عينَ الامير الاخرى، وهبط بها الى الميدان، ومرق ببائعة الكبريت واسقط الياقوتة في كفّها. فصاحت: «ما اجمل هذه الزجاجة!» وركضت الى بيتها ضاحكة فرحة.

وعاد السنونو الى الامير وقال: «انك الان مكفوف البصر، ولذا سأبقى معك ما دمتُ حيّاً.»

فقال الامير المسكين: «لا يا ايها السنونو الصغير، اذهب الى مصر.»

قال السنونو: «بل أبقى معك ما دمت حياً.» ثم نام بين قدمي الامير.

وبقي طوال اليوم التالي على كتف الامير يقص عليه اخبار ما شاهده في عجيب الاقطار والامصار. فحدثه عن الطيور الحمراء العجيبة التي تحط على ضفاف النيل صفوفا صفوفا

تصطاد السمك المذهب بمناقيرها. وحدّثه عن ابي الهول القديم قِدَم الدنيا، وهو رابض في الصحراء يعلم كل شيء. وحدثه عن قوافل التجار الذين يمشون على مهل مع جمالهم وملء أيديهم عقود الكهرمان. وعن ملك جبال القمر وهو أسود كالابنوس، يعبد كرة كبيرة من البلور. وحدثه عن الافعى الخضراء الهائلة التي تنام في احدى اشجار النخيل، ولها عشرون كاهنا يطعمونها اقراص العسل. وحدّثه عن الاقزام الذين يقيمون في بحيرة كبرى على اوراق شجرة كبيرة، وهم في حرب لا تنتهي مع الفراش.

قال الامير: «عزيزي السنونو الصغير، انك تحدثني عن غرائب وعجائب، لكن اعجب منها جميعاً آلام الرجال والنساء، ولا سر اعمق من الشقاء. فطر فوق مدينتي وقل لي ماذا ترى.»

فطار السنونو فوق المدينة الكبرى، واذا الاغنياء يسرحون ويمرحون في منازلهم الفاخرة والمتسولون قاعدون بابوابهم. وطار في الأزقّة العتمة فرأى صبية شحبت وجوههم جوعا يتسكعون متطلعين الى الطرق السوداء. ورأى تحت قنطرة جسر ولدين، رقدا متعانقين ليدفىء احدهما الاخر، وهما يتمتمان مرتعشين: «جائعان. جائعان.» واذا الحارس يصيح بهما: «قوما من هنا وابتعدا!» وطردهما ليطوفا في الطرقات تحت رحمة الامطار الدافقة.

ثم عاد الى الامير وقص عليه ما رأى. فقال الامير: «إنني

مكسو بأوراقٍ من الذهب، فجردها عني ورقة ورقة، وخذها الى فقـرائي المسـاكـين. فالاحيـاء دائمـاً يظنـون ان في الـذهب سعادتهم.»

وراح السنونو يجرد عنه ورقة إثر ورقة، حتى غدا الامير السعيد أغبر اللون بليد المنظر. ولكن وجوه الاولاد الفقـراء اخـذت تتورد، وجعلـوا يضحكـون ويمـرحـون في الطـريق ويهتفون: «لدينا من الخبز حاجتنا!»

ثم سقط الثلج وتلا الثلج الصقيع. وأضحت الطرقات كأنها مصنوعة من لجين، براقـة متلالئـة، والناس يتـرددون فيها ملفعين بالفراء، والصبية يلبسون القبعات الحمراء ويتزحلقون على الجليد.

وتمشى البرد في اوصال السنونو شيئاً فشيئاً، ولكنه لم يهجر الامير، لأنه كان يحبه. فكان يغافل الفران ويلتقط فتات الخبز المنثور ببابه، ويسعى جهده ان يدفىء نفسه برفرفة جناحيه.

وعلم اخيراً انه لابد مائت. فاستجمع قواه وارتفع الى كتف الامير للمرة الاخيرة وتمتم: «الوداع يا اميري العزيز.. هـلا أذنت لي أن أقبل يدك؟»

فقال الامير: «يسرني انـك ذاهب الى مصر ايها السنـونو الصغـير، فقد اقمت معي طـويلاً، ولكن قبـل شفتي، لانني احبك.»

قال السنونو: «لست الى مصر ذاهباً بل الى دار الموت. والموت

اخو النوم، أليس كذلك؟» ثم قبل شفتي الامير السعيد وسقط ميتاً على قدميه.

وفي تلك اللحظة سمعت طقطقة غريبة داخل التمثال كأن شيئاً ما قد انكسر. والحقيقة هي ان القلب الرصاصي انشق شطرين. لا ريب ان الصقيع كان لاذعاً.

وفي الصباح التالي مر رئيس البلدية باكراً في ميدان التمثال مع اعضاء المجلس. ولما وقع نظره على التمثال قال: «عجبا، ما أشعث الامير السعيد!»

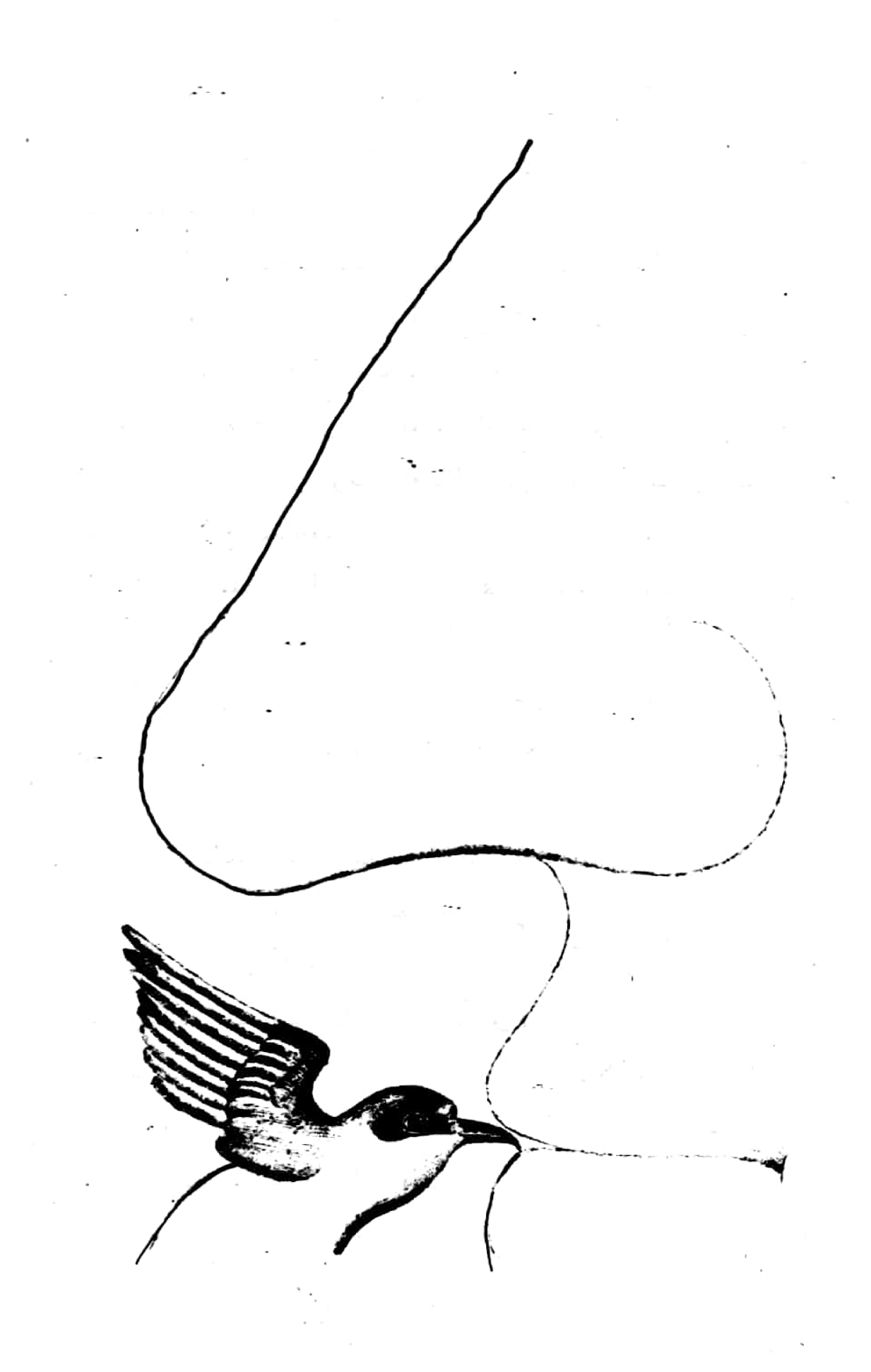
فردد الاعضاء الذين كانوا يتفقون مع الرئيس دائماً في ما يقول: «حقا ما أشعثه!» ورفعوا ابصارهم اليه.

قال الرئيس: «الياقوتة سقطت من سيفه، وعيناه انسلتا، وراح كلّ ما كان عليه من ذهب. والله انه لا يفضل المتسولين بكثير.»

فردد الاعضاء: «حقا انه لا يفضل المتسولين بكثير.»

واستأنف الرئيس: «وهنا عصفور ميت على قدميه! يجب ان نصدر أمراً بان العصافير لا يؤذن لها بالموت هنا.» وللحال سجل كاتب المجلس تلك الملاحظة في دفتره.

ثم انزلوا تمثال الامير السعيد. فقال استاذ الفن في الجامعة: «بما انه لم يعد جميلا، فهو اذن لم يعد مفيدا.» ثم صهروا التمثال في النار، وعقد رئيس البلدية اجتماعاً ليقرر ما يجب فعله بمعدنه. وقال: «لابد لنا من تمثال مكانه بالطبع.



ويجب ان يكون ذلك تمثالي.»

فقال كل عضو في المجلس: «بل تمثالي.» وراحوا يقتتلون. ولما سمعتهم اخر مرة كانوا ما زالوا يقتتلون.

وقال رئيس العمال في المصهر: «عجباً ان هذا القلب المكسور لا ينصهر في النار، فلابد من رميه!» ورموه على كومة من القمامة حيث كان السنونو الميت ايضاً راقداً.

وقال الله لاحد ملائكته: «أحضر لي أثمن شيئين في هـذه المدينة.» فأحضر له الملاك القلب الرصاصي والعصفور الميت.

فقال الله عز وجل: «أحسنت الاختيار! فَلَيَشْدُوَنَّ السنونو في جنان الخلد وفي مدينتي الذهبية ليمجدنَّ الامـير السعيد اسمي، الى الابد.»

البلبل والوردة

هتف التلميذ حزيناً: «قالت انها ستراقصني **اذا جئتها** بورود حمر، ولا وردة حمراء في جنينتي **كلها**.»

فسمعه البلبل من عشه في السنديانة، واطل من بين الاوراق وتعجب.

وهتف الشاب وعيناه طافحتان بالعبرات: «لا وردة حمراء في جنينتي كلها. آه ما ادق الاشياء التي تعتمد عليها السعادة! كل ما خطه العلماء قرأت، وكل اسرار الفلسفة عرفت، وحياتي تبتئس لوردة حمراء واحدة لا اجدها!»

فقال البلبل: «ذلك حقا عاشق صحيح! ولقد شدوت بذكره ليلة تلو ليلة وان لم اعرفه، وليلة تلو ليلة رددت قصته للنجوم. شعره حالك كنور الخزامى، وشفتاه حمراوان كوردة مشتهاة، بيد ان العواطف الملحة اشاعت شحوب العاج في محياه، والآلام المبرحة وسعت خاتمها على جبينه.»

وغمغم التلميذ: «غدا سيحيي الامير ليلة راقصة، وستكون حبيبتي هناك، فاذا جئتها بوردة حمراء راقصتني حتى انبلاج النهار. اذا جئتها بوردة حمراء احتويتها بين ذراعي، ومالت

برأسها على صدري ويدها مضمومة في يدي. لكن لا وردة حمراء في جنينتي، وسأجلس وحدي منفرداً، فتمر بي غير حافلة فينسحق قلبي...»

فقال البلبل: «هذا حقا عاشق صادق! انه ليعاني ما اردد في اغانيّ، وما يلذ لي يؤلمه. فما اعجب الحب! انه اثمن من الزمرد واغلى من الياقوت. لا باللآلىء يبتاع ولا بالرمان، وليس يعرض في الاسواق. لا من التجار يشري، لا ولا يوزن في الميزان مع الذهب.»

قال التلميذ: «سيجلس العازفون في ركنهم ليلعبوا بالمعازف، فترقص حبيبتي على نغمات القيثارة والكمان. ولسوف ترقص بخفة عجيبة ورشاقة اعجب، فلا تمس الارض قدماها، ويتسابق اليها المدعوون بألبستهم الزاهية. اما انا فلن تراقصني، لان لا وردة حمراء عندي اقدمها اليها.» وطرح نفسه بين الحشائش، ودفن وجهه بين راحتيه وبكى.

فمرت به العظاة الصغيرة الخضراء، وقد رفعت ذيلها، وتساءلت: «ليت شعري لم يبكي؟»

وقالت فراشة كانت تحوم في اثر شعاع من الشمس: «بالله لم يبكي؟»

وهمست اقحوانة الى جارتها بحس ناعم منخفض: «حقا، لم يبكي؟»

فقال البلبل: «يبكي من اجل وردة حمراء.»

فصحن قائلات: «أمن اجل وردة يبكي؟ يا للمهزلة!» وللتو راحت العظاة الصغيرة، التي كانت على شيء من السخرية، في ضحك كثير...

غير ان البلبل ادرك سر آلام التلميذ، فقبع ساكنا في السنديانة، وقد ارسل الافكار في سر الهوى الغامض.

وعلى حين فجأة نشر جناحيه الاسمرين ليطير، ثم حلق في الفضاء، فمرق في الأجمة كالظل، وكالظل اقلع فوق الجنينة.

فرأى في وسط الحشائش شجرة ورد جميلة قد زكت، فطار اليها، واستقر منها على فنن، وصاح بها:

«اعطني وردة حمراء، اسمعك أحلى أغانيّ!»

لكن الشجرة هزت رأسها واجابت:

«ورودي صفراء كغدائر عذراء البحر الجالسة على عرش من الكهرمان، واشد اصفراراً من النرجس المتفتح في المروج قبل مجيء الحصّاد بمنجله. لكن عليك بأختي النامية تحت نافذة التلميذ لعلها تجود عليك بما تروم.»

فهرع البلبل الى شجرة الورد النامية تحت نافذة التلميذ وصاح:

«اعطيني وردة حمراء، أسمعك احلى اغانيّ.»

لكن الشجرة هزت رأسها واجابت:

«ورودي حمراء كاقدام الحمام، واشد احمرارا من مراوح المرجان التي تتماوج ابدا في اليم العظيم. غير ان القر لفح

عروقي والصقيع يبّس بـراعمي، والزوابـع قصفت فروعي، فلست بحاملة ورداً طوال هذا العام.»

فصاح البلبل: «وردة حمـراء واحدة كـل ما ابغي، وردة حمراء واحدة فقط، أما من سبيل الى حصولي عليها؟»

فاجابت الشجرة: «بلى، لدي سبيل، ولكنه مريع لا اجرؤ على ذكره لك.»

قال البلبل: «اذكريه لا عليك! لست بخائف.»

فقالت الشجرة: «ان تبغ وردةً حمراء فعليك ان تبتنيها من الموسيقى في ضوء القمر وتضمّخها بدماء قلبك. عليك ان تشدو عـلى مسمعي، وصدرك عـلى شوكـة، وتقضي الليلة شـادياً والشوكة تنفذ في قلبك، فتسيل دماء حياتك في عروقي وتصبح لي.»

فصاح البلبل: «ما اغلى الموت ثمناً لوردة حمراء! ان الحياة عزيزة على الجميع. ما احلى الجلوس في سندسي المروج، للنظر الى الشمس في مركبتها الذهبية، والى القمر في مركبته اللؤلؤية. زكي شـذى زعرور البـراري، وجلوة الـرياحـين المتخفية في الوديان والخلنج النفاح على التلاع. لكن الحب مع ذلك خير من الحياة: واين قلب عصفور من قلب إنسان؟»

ثم نشر جناحيه الاسمرين ليطير، وحلق في الفضاء. فأقلع فوق الجنينة كالظل، وكالظل مرق في خلال الاجمة.

وكان التلميذ ما يزال راقدا على العشب حيث غادره من قبل،

والعبرات لما تجف من عينيه الجميلتين، فصاح به البلبل:

«أبشر يا فتى أبشر، وردتك الحمراء ستنالها! ولسوف ابتنيها من الموسيقى في ضوء القمر واضمخها بدماء قلبي. وما اسألك جزاءاً الا ان تكون عاشقاً صادقاً، فالحب اعمق حكمة من الفلسفة واشد بأسا من القوة. جناحاه في لون اللُّهُب المستعرة، وفي لون اللهب المستعرة جسمه. شفتاه حلوتان مثل العسل، وانفاسه طيبة كعود الند.»

فاشرأب الفتى من على الحشيش وأصغى، الا انه ما استطاع ان يفهم ما يقول البلبل، لانه ما كان يعرف الا ما دوّن على صفحات الكتب.

اما السنديانة ففهمت، ولفها الحزن على البلبل الذي عشش في فروعها، وهي به شغوف مغرمة، فهمست اليه:

«غنّ لي اغنية اخيرة، فلسوف تغادرني في وحشةٍ اذ ما ذهبت.» فصدح البلبل باغنية لدوحة السنديان، فكانت سقسقته كخرير ماءٍ يتصبب من جرةٍ فضية.

ولما فرغ من الغناء نهض التلميذ واخرج من جيبه دفتراً وقلماً، وراح يحدث نفسه وهو موغل في الاجمة: «ان لها قدا لا ينكر عليها. لكن هل يختلج بين جنبيها شعور؟ اخشى ان لا. فهي في الحق كاكثر الفنانين ـ هي اسلوب بلا اخلاص. ولن تضحي بنفسها لغيرها. وهي لا تفكر في غير الموسيقي، والكل يعرف ان الفنون ملأى بالانانية. وفي صوتها بضع نبرات مشنفة، ولكن يا



للضيعة! ان نبراتها خلو من المعاني، لا تأتي خيرا نافعاً.» ثم قصد حجرته، ورقد على فراشه القشي تنوشه خواطر الحب وبعد قليل تسرب الكرى الى مقلتيه، فنام.

ولما سطع القمر في السماء المترامية، طار البلبل الى شجرة الورد، واتكأ بصدره على الشوكة، وراح طوال الليل يغني، وقد عطف عليه القمر البلوري مصغيا، والشوكة تنفذ في صدره شيئاً فشيئاً، ودم الحياة يتسرب منه شيئاً فشيئاً.

تغنى في البداية بانبثاق الحب في قلب فتى وقلب فتاة. فلاح في أعلى فنن من شجرة الورد برعم وردةٍ عجيبة، وريقة تتلوها وريقة كما كان اللحن يتلوه اللحن. كانت في البدء شاحبة كالضباب المنشور فوق النهر، او كأقدام الصباح، ولجينية كاجنحة الفجر. لقد كانت كخيال وردة في مرآة من الفضة، او كخيال وردة في غدير.

غير ان الشجرة اهابت بالبلبل ان يشتد ضغطاً على الشوكة، وصاحت قائلة: «اشتد ضغطاً ايها البلبل الصغير، والا طلع النهار والوردة لم تكمل بعد.»

فاشتد البلبل ضغطاً على الشوكة، فعلا غناؤه وعلا، لانه جعل يتغنى بانبثاق اللوعة في نفس رجل ونفس عذراء.

فسرت حمرة خفيفة الى اوراق الوردة، كالحمرة السارية في وجه العريس اذ يقبل شفتي عروسه، لكن الشوكة ما بلغت قلبه، وبقي قلب الوردة ابيض ـ فقلب الوردة لا يصبغه

بالقرمزي الا دم من قلب بلبل.

واهابت الشجرة بالبلبل ان يشتد ضغطاً على الشوكة، وصاحت قائلة: «اشتد ضغطاً ايها البلبل الصغير، والا طلع النهار والوردة لم تكمل بعد.»

فاشتد البلبل ضغطاً، فمست الشوكة قلبه، وانطلقت في جسمه رعدة عنيفة من الالم. وغدا ألمه وجيعاً مريراً، وعلت اغنيته صاخبة، لانه صار يتغنى بالهوى الذي يكمله الموت، الهوى الذي لا يموت حتى في اللحد.

واذا الوردة العجيبة محمرة قرمزية، كوردة الافق الشرقي. منطقة الاوراق قرمزية، وقرمزي قلبها كالياقوت.

بيد ان سقسقة البلبل اخذت في الضعف والخفوت، وخفق جناحاه الصغيران ورنّقت على عينيه غشاوة. وضعفت اغنيته وانخفضت، واحس بشيء يرد انفاسه في حلقه.

ثم انفجر في لحن اخير سمعه البدر الناصع، فنسي الفجر وتريث في كبد السماء، وسمعته الوردة الحمراء فارتعشت في نشوة، وفتحت كمها لهواء الصبح القرير. ونقله الصدى الى غاره الارجواني في التلال القاصية، فأيقظ الرعاة النائمين من احلامهم. وطفا بين اقصاب النهر فحملت رسالته الى البحر...

وصاحت شجرة الورد: «انظر، انظر، كملت الوردة الان!» لكن البلبل لم ينبس بجواب، لانه كان راقدا بين الحشائش والشوكة في قلبه.

وفي الظهر فتح الطالب نافذته، وتطلع الى الخارج، وصاح:
«يا لسعدي! ها هي ذي وردة حمراء لم اشهد مثلها في حياتي!» وانحنى فقطفها.

ثم لبس قبعته وهرول الى بيت الاستاذ والوردة في يده. فرأى ابنة الاستاذ جالسة بالباب تلف حريراً ازرق على بكرة، وكلبها الصغير راقد عند قدميها. فصاح:

«قلت انك ستراقصينني اذا جئتك بوردة حمراء. هاك وردة لن تلقي في الدنيا مثلها في حمرتها القانية. ضعيها الليلة فوق قلبك، تفض اليك ونحن نرقص معا بحبي العظيم.»

فعبست الفتاة واجابت:

«اخشى الا تلائم ثوبي. وعدا هذا فان ابن اخي رئيس الوزراء قد بعث الي بعدة جواهر حقيقية، وليس من لا يعرف ان الجواهر اغلى من الزهور بكثير...»

فقال التلميذ: «والله انك جاحدة للجميل!» ورمى الوردة في الطريق، فسقطت في ميزاب، وأتت عجلة ومرت عليها.

فقالت الفتاة: «أأنا جاحدة للجميل؟ اذن فاسمع، انك جافٍ غليظ. ومن انت؟ ما انت الا تلميذ. ولست اظن ان لحذائيك بزيمين من الفضة كحذائي ابن اخي الرئيس.» ونهضت عن كرسيها ودخلت الدار.

وفيما الطالب راجع قال لنفسه: «ما احمق الحب! ليس فيه نصف ما في المنطق من نفع، لانه لا يبرهن على شيء، بل انه

ليدأب في التحدث الى المـرء عن اشياء لن تقـع، ويبعثه عـلى تصديق امور هي من الصدق براء. وهو في الواقع ليس عملا مجديا، ولما كانً العمل المجدي في هذا العصر هو كل شيء، فلأعد الى الفلسفة، ولأدرس ما وراء الطبيعة.»

وهكذا عاد الى غرفته، واخرج كتابـاً ضـخماً تـراكم عليه الغبار، وراح يقرأ...

العملاق الأناني

كلما انصرف الصبية من المدرسة بعد الظهر، يمّموا شطر حديقة العملاق، وراحوا يلعبون فيها.

كانت حديقة غناء فيحاء، تكسو ارضها الحشائشُ الخضراءُ الناعمة، وقد انتثرت عليها ازاهير جميلةٌ كالنجوم، وبين أكنافها اثنتا عشرة خوخةً، كانت تتسربل في الربيع بنُوّارٍ زهريّ ولؤلؤي، وفي الخريف تثقلها الفاكهة الشهية.

وكانت العصافير تحطّ على أفنانها وتنطلق شاديةً مغرّدةً، فيذهل الصبية عن العابهم ليصغوا اليها، ثم يقولون: «ما أسعدنا في هذا المكان!»

وفي ذات يوم عاد العملاق الى حديقته، بعد ان قضى سبع سنوات عند صديقه مارد كورنوول. وفي ختام السنوات السبع كان قد أنجز مهمته، ولم يبق له ما يقول، لان قدرته على الحديث كانت محدودة، وعزم على العودة الى قلعته. ولما عاد، رأى الصبية يرتعون ويمرحون في الحديقة.

فصاح بصوتٍ أبح رهيب: «ما الذي تفعلون هنا؟» فأطلق الصبية أرجلهم للريح مذعورين.

قال العملاق: «حـديقتي هي حديقتي! وعـلى الجميع ان يدركوا هذا. والله لا يلعبن في هذه الحديقة مخلوق سواي!»

ولهذا ابتنى حولها سوراً شاهقاً، وعلّق لوحةً كتب عليها:

[كل من يدخلها بغير إذن يحاكم]

حقا ما اشد أنانيته!

لم يجد الصبية المساكين محلاً اخر للعب. حاولوا ان يلعبوا في الطريق، لكنها كانت وعرةً مغبرة، تملأها الاحجار الصّلدة، فما وجدوا في لعبهم لذة. فاذا ما فرغوا من دروسهم عصر كل يوم، راحوا يطوفون حـول السور الشـاهق، وألسنتهم تلهج بجمال الحديقة التي تحتويها تلك الحجارة الضخمة، ويقول بعضهم لبعض: «ما كان أسعدنا هناك!»

ثم قدم الربيـع وملأ البـلاد نوراً وعصـافير، الا حـديقة العملاق الاناني، إذ بقي الشتاء فيها، ولم يتسرب اليها رواء الربيع. فلم تغرد الطيور على أفنانها، اذ لم يسرح الاولاد بين جنباتها، ونسيت الاشجار ان تنور نوارها.

واتفق مرة ان رفعت زهرة رأسها من بين الاعشاب، ولكنها رأت اللوحة المعلقة، فأسفت على الصبية، وتراجعت في أساها الى الارض ثانيةً، واستسلمت للسبات.

ولم يُسَرَّ لهذا الا الثلج والصقيع. فهتفا: «لقد نسي الربيع هذه الحديقة، ولسوف نقيم هنا طوال السنـة!» ثم لف الثلج الاعشاب بملاءته البيضاء الضافية، وطلى الصقيع الاشجار



كلها باللجين. ثم دعا كلاهما ريح الشمال لتقيم معهما، فلبت الدعوة راضية، وجاءت ملفعة بالفراء، وراحت تولول وتزمجر طوال النهار بين ارجاء الحديقة، وتقتلع مداخن القلعة.

ثم قالت: «انه لمكان جميل. ولجدير بنا ان ندعو البَرَدَ يزورنا.» وهكذا قدم البَرَد، وراح ينقر سطح القلعة كل يوم ثلاث ساعات كاملات، حتى حطم اكثر البلاطات وحين فرغ من ذلك راح يكر ويفر في الحديقة بأشد ما في وسعه من سرعة، وهو مترسبل بلباسٍ أغبر، وانفاسه كالجليد.

وجلس العملاق الاناني في نافذته، ونظر الى حديقته البيضاء الباردة، وقال: «ليت شعري لماذا أبطأ الربيع في مجيئه؟ لشَدَّ ما اشتهي تغير هذا الطقس اللعين!»

غير ان الربيع لم يجيء، ولا الصيف جاء. وملأ الخريف كل حديقةٍ بالثمار الذهبية الا حديقة العملاق، قائلاً: «انه اناني لا يستحق الثمار.» وبقي الشتاء هناك مقيماً، وما انفكت ريح الشمال والبرد والثلج والصقيع ترقص بين اشجارها.

وحدث ذات صباح، فيما كان العملاق راقداً في فراشه مستيقظاً، ان سمع موسيقى مشنفة. فتبادر الى ظنه ان موسيقيي الملك قد مروا بقلعته. ولكن لم يكن في الحديقة الا عصفور يزقزق خارج نافذته. غير ان ردحاً من الزمن كان قد مر عليه لم يسمع فيه عصفوراً يغرد فبدا له ذلك كأحلى موسيقى في الوجود. عندها توقف البرد عن الرقص فوق رأسه، ووقفت ريح

الشمال عن الزئير، وتسرّب الى أنفه من النافذة شذىً زكي لذيذ... فقفز العملاق من فراشه، ونظر من النافذة صائحاً: «لعلّ الربيع قد جاء بعد طول انتظار!» فماذا رأىٰ؟

رأى مشهداً غاية في العجب! لقد تسلّل الاولاد من ثغرةٍ صغيرة في السور الى الداخل، وجلسوا بين اغصان الاشجار. كلُّ شجرةٍ وقع نظره عليها رأى ولداً بين اغصانها. وقد انتشت الاشجار فرحاً بعودة الاولاد، فاكتست بالنوّار، وجعلت أذرُعُها تتماوج بهوادةٍ ودَعَة فوق رؤوس الاولاد. وراحت العصافير تتنقل من فَرْعٍ إلى فرع وهي تصدح فَرحةً جَذْلىٰ، وأطلّت الازاهير من بين الحشائش الخضراء مشرقةً ضاحكة.

كان المنظر أخّاذاً، لولا ان الشتاء كان ما يزال قابعاً في أبعد ركنٍ من الحديقة، حيث وقف غلام صغير، لا يستطيع إدراك الاغصان التي فوقه، وهو يحوم حول الشجرة باكياً بحرقة مريرة. وكانت الشجرة المسكينة ما زالت مكسوّةً بالثلج والصقيع، وريحُ الشمال تعصف بها وتزمجر. وحَنَت الشجرة أغصانها ما استطاعت قائلة: «تسلّق أيها الصبي!» غير انه كان صغيراً ضعيفاً، فأخفق.

نظر العملاق ذلك فذاب قلبه حسرة، وقال لنفسه: «ما كان أشد أنانيتي! الان علمت لماذا امتنع الربيع عليّ. سأرفع ذلك الولد الصغير الى قمة الشجرة، ولسوف اهدم هذا السور، وأجعل حديقتي ملعباً لهؤلاء الصبية الى الابد!» لقد أسف حقا



لما كان قد فعل.

ولذا، هبط الدرج، وفتح الباب الأمامي بهدوء، وخرج الى الحديقة. لكن الصبية حالما رأوه مَلك الذعرُ قلوبهم وولّوا الأدبار، وعاد الشتاء ثانيةً إلى الحديقة كلها. إلا أن الغلام الصغير لم يهرب، لان عينيه كانتا مترعتين بالعبرات، فلم ير العملاق قادماً. وتسلّل العملاق الى خلفه، وأخذه بلطف بين يديه وصعّده على الشجرة. وللحال انبثق النوار منها وكساها، ورفرفت عليها العصافير شاديةً طربةً.

فمدّ الغلام ذراعيه وعانق العملاق وقبّله. ولما رأى الاولاد الاخرون ان العملاق لم يعد شريراً كما كان، رجعوا راكضين، ورجع معهم الربيع.

فقال العملاق: «إنها الآن حديقتكم أيها الصبية الصغار!» وتناول فأساً كبيرةً وهدم السور.

ولما أخذ الناس يذهبون الى السوق في الظهيرة، شاهدوا العملاق يلعب مع الصبية في اجمل حديقة رأوها في حياتهم.

ولعب الاولاد هناك طيلة النهار، حتى اذا قدم المساء راحوا الى العملاق يستودعونه الله.

قال: «وأين زميلكم الصغير الذي رفعته بيدي الى الشجرة؟» لقد أحبه العملاق اكثر من الجميع لأنه كان قد قبله.

أجاب الصبية: «لسنا ندري. لعله قد ذهب.»

قال العملاق: «يجب ان تقولوا له ألا ينسى ان يأتي غداً.»

لكن الصبية أخبروه انهم لا يعلمون أين يقيم اذ لم يروه قط قبل ذلك اليوم. فحزن العملاق حزناً شديداً.

وجعل الاولاد، بعد كل ظهر حين ينصرفون من المدرسة، يذهبون الى الحديقة ويلعبون مع العملاق. ولكن ذلك الغلام الصغير الذي أحبه العملاق لم يأت قط مرةً أخرى. وعلى حب العملاق للصبية جميعهم، فقد حن الى صديقه الاول. ولطالما تحدث عنه، وكثيراً ما قال: «لشدّ ما أتوق الى رؤيته!»

ومرّت السنون تتلوها السنون، وشاب العملاق، وخارت قواه. ولم يعد في طوقه ان يلعب. وجعل يجلس في كرسي كبير ويرقب الصبية يتلاعبون مرحين، ويجيل بصره في حديقته مزهواً معجباً، ويقول: «لدي الزهور والرياحين الجميلة، لكن الاولاد هم اجمل الزهور وأحلى الرياحين.»

وفي صباح يومٍ من أيام الشتاء نظر من النافذة الى الخارج وهو يرتدي ثيابه. ولم يعد يكره الشتاء لانه يعلم ان الشتاء انما هو رقدة الربيع، وان الزهور فيه قد استنامت لتستريح.

وفجأةً فرك عينيه دهشةً غير مصدق ما يرى، ولقد كان حقاً منظراً عجيباً ما رآه. ففي أبعد ركنٍ من أركان الحديقة رأى شجرةً تسربلت بنوّار أبيض بديع، وأفنانُها كلها من ذهب. وفاكهةٌ من الفضة تتأرجح عليها، وقد جلس تحتها الغلام الصغير الذي أحبه.

فهرول إليه العملاق يغمره الفرح، ولما دنا منه، احمرّ وجهه

غضباً وصاح: «من ذا الذي جرؤ أن يجرحك؟» فقد رأى آثار مسمارين غرزا في كفيّه ومسمارين في قدميه.

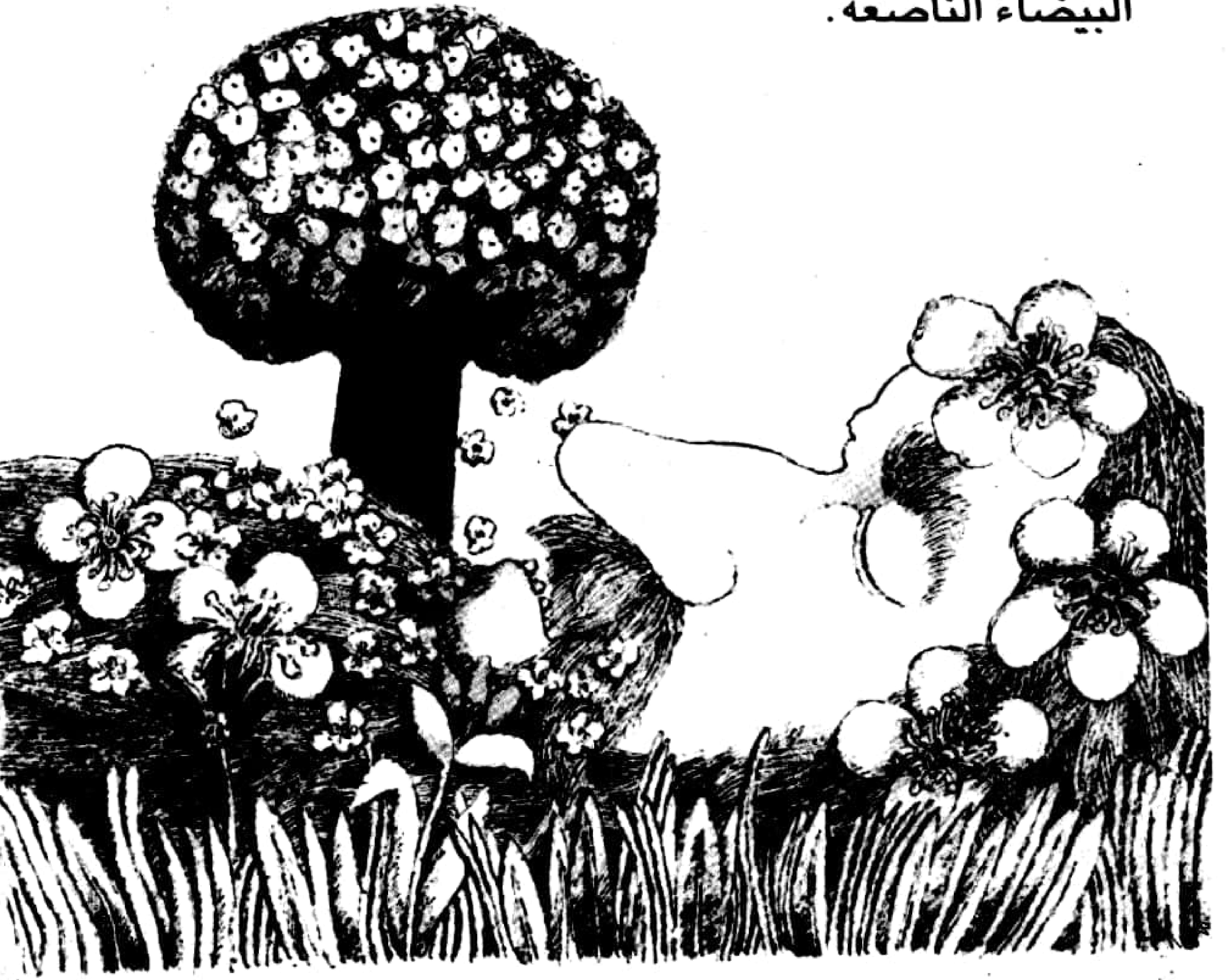
وصاح ثانيةً: «من ذا الذي جرؤ أن يجرحك؟ أخبرني، فآخذ سيفي الكبير وأقتله!»

فاجاب الغلام: «لا! هذه جروح الحب.»

قال العملاق وقد استولت عليه رهبة: «من أنت، بربك من أنت؟» وجثا أمام الولد الصغير.

فابتسم الولد وقال له: «جعلتني ألعب مرةً في حديقتك. واليوم ستأتي معي الى حديقتي - إلى الفردوس.»

وحين جاء الصبية راكضين بعد ظهر ذلك اليوم، وجدوا العملاق مُسجّى تحت الشجرة، وقد كستهُ زهور النوّار البيضاء الناصعة.



الصاروخ المذهل



كان ابن الملك سيقام عرسه، وقد عمّ الفرح الجميع، بعد أن انتظر الامير مجيء عروسه سنة كاملة، وها هي الان أخيراً قد وصلت. وهي أميرة روسية، جاءت محمولة طوال الطريق من فنلنده على مزلجة تجرّها ستة من غزلان الرنة.

وقد جعلت المزلجة على شكل بجعةٍ ذهبية كبيرة، وبين جناحي البجعة اضطجعت الاميرة الصغيرة نفسها، وعباءتها الفرائية الناعمة الطويلة تبلغ قدميها، وعلى رأسها قبعة دقيقة من نسيج فضي، وبشرتها ناصعة في بياض «قصر الثلوج» الذي كانت دوماً تقيم فيه. بل ان بشرتها من النصوع بحيث دهش الناس كلهم عندما رأوها ومزلجتها تحملها في الشوارع، وهتفوا قائلين:

«إنها كوردةٍ بيضاء!» وأمطروها بالزهور من على شرفات المنازل.

وقف الامير ببوابة القلعة في انتظار استقبالها. عيناه بنفسجيتان حالمتان، وشعره كالذهب الصافي. وعندما رآها، جثا على ركبة واحدة، وقبل يدها.

وتمتم: «كانت صورتك جميلة. غير انك أجمل من صورتك.» وأحمرت وجنتا الاميرة الصغيرة خجلاً.

فقال وصيفٌ شاب لجاره: «كانت كوردةٍ بيضاء من قبل، اما الان فانها كوردة حمراء.» وسُرَّ أهلُ البلاط الملكي جميعاً لذلك.

وراحوا كلهم لثلاثة ايام يقول بعضهم لبعض: «وردة بيضاء، وردة حمراء، وردة حمراء، وردة بيضاء.» وأمر الملك بمضاعفة راتب الوصيف، وبما أنه لم يكن يتسلم اي راتب، فان الأمر لم يفده في شيء، ولكنه عُدَّ شرفاً عظيماً ونشر، كما تقتضي الاصول، في جريدة البلاط الرسمية.

وبعد مرور الايام الثلاثة، أقيم العرس، وكان احتفالاً باذخاً، سارت العروس ويدها في يد العريس تحت مظلةٍ من المخمل الارجواني المطرز باللآليء الصغيرة. ثم اقيمت المأدبة الملكية، التي دامت خمس ساعات. وجلس الامير والاميرة في صدر «القاعة العظمى» وشربا من كأس من البلور النقي. والمحبون الصادقون فقط بوسعهم ان يشربوا من هذه الكأس، إذ لا تمسُّها شفتان كاذبتان إلاّ وغامت وتحوّل لونها الى رصاصي بليد.

وقال الوصيف اليافع: «واضحُ أنهما يُحبّ كلاهما الآخر، وضوح البلور النقي!» فضاعف الملك راتبه مرة ثانية.

وهتف رجال البلاط جميعاً: «ياله من شرف عظيم!»

وبعد المأدبة، جاء دور حفلة الرقص، ورقص العريس مع



عروسه «رقصة الوردة»، وكان الملك قد وعد بأن يعزف على الناي. وعزفه رديء، ولكن لم يكن هناك من يجرؤ على ان يقول له ذلك، لأنه الملك. وهو في الواقع لا يعرف إلّا لحنين اثنين، وكلما عزف لم يكن واثقاً تماماً أيَّ اللحنين هو يعزف. ولكن ما هَمّ: لان الجميع، مهما فعل، هتفوا قائلين: «بديع! بديع!»

وكانت الفقرة الأخيرة في البرنامج عرضاً كبيراً للألعاب النارية يبدأ عند انتصاف الليل بالضبط. ولما لم تكن الأميرة الصغيرة قد رأت في حياتها عرضاً للألعاب النارية، فقد اصدر الملك اوامره بأن يكون «رئيس الصعّادات الملكية؟» حاضراً لاطلاقها يوم الزفاف.

- «ماذا تشبه الصعّادات؟» كانت الأميرة قد سألت الاميرذات صباح وهما يتمشيان على الشرفة.

«إنها كالشَّفق الشمالي» أجاب الملك، الذي من دأبه ان يجيب عن اسئلة تطرح على أناس آخرين، «إلا انها طبيعية اكثر منها. وأنا شخصياً أفضلها على النجوم، لأن المرء يعرف متى ستبزغ. وهي ممتعة، كعزفي على الناي. يجب أن تَرَيها، حتماً.»

وهكذا أقيمت منصة كبيرة في الطرف الأقصى من حديقة الملك، وحالما وضع رئيس الصعّادات الملكية كل شيء في مكانه، أخذت الصعّادات تتجاذب أطراف الحديث فيما بينها.

صاحت «قويذفة»: «ما أجمل الدنيا! انظروا الى تلكم

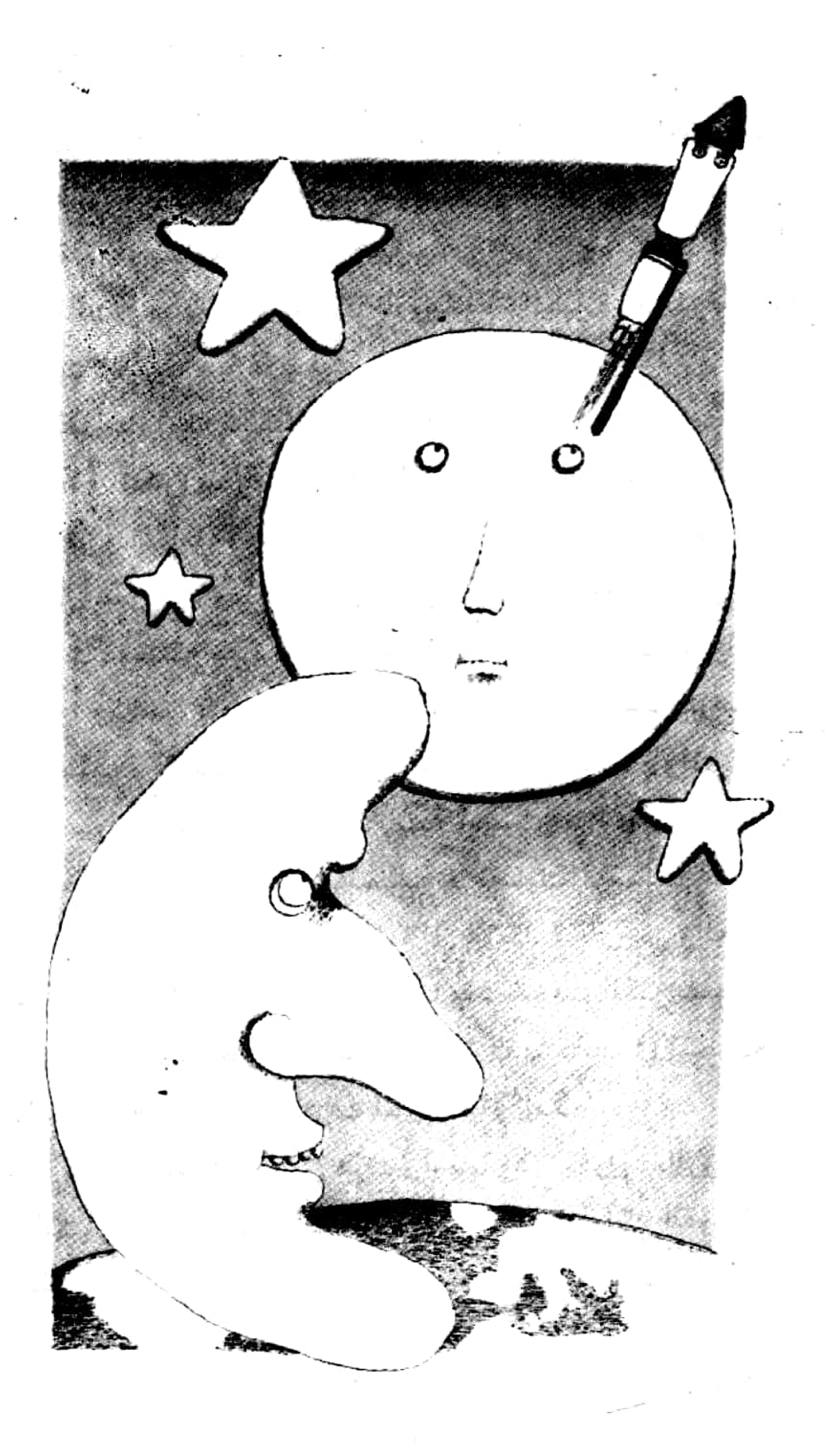
الزنابق الصفراء! لوكانت فراقيع حقيقية لما كانت اكثر جمالاً. يفرحني جداً أنني سافرت فالسفر محسّن عجيب للذهن، ويقضي على تعصّبات المرء كلها.»

قالت احدى «الشمعات الرومانية» الكبيرة: «حديقة الملك ليست الدنيا، يا فويذفة بلهاء. ان الدنيا مكان فسيح، تستغرقك رؤيته ثلاثة أيامٍ كاملة.»

«أيُّ مكانٍ يحبّه المرء هو الدنيا بالنسبة له،» قالت «عجلة كاثرين» المتأملة، وكانت قد ثبتت بصندوق خشبي قديم منذ أوائل عمرها، وجعلت تتباهى بقلبها الكسير. «ولكن الحبَّ راحت موضته هذه الأيام. لقد قتله الشعراء، اذ كتبوا عنه كثيراً وبالغوا بالكتابة حتى ما عاد أحد يصدّقهم ـ وهذا لا يدهشني. فالحب الصادق يتألم، ويبقى صامتاً. واني لاذكر مرة ـ ولكن ما هَمّ... فالرومانسية أمست امراً ماضياً.»

«كلام فارغ! الرومانسية لا تموت!» قالت الشمعة الرومانية. «إنها كالقمر، وتحيا إلى الابد. فالعروس والعريس، مثلاً، يحب كلاهما الآخر حباً جماً وقد سمعت الكثير عنهما هذا الصباح من خرطوشة سمراء، اتفق انها كانت في المجرّ نفسه الذي أنا فيه، وكانت تعرف آخر أخبار البلاط.»

غير ان عجلة كاثرين هزّت رأسها وهي تقول: «الرومانسية ماتت، الرومانسية ماتت...» فقد كانت من اولئك القوم الذين يظنون أنك اذا قلت شيئاً وأعدت قوله مراتٍ عديدة، أصبح في



النهاية حقيقةً واقعة.»

فجأة سمعت الصعّادات نحنحة جافة حادة، والتفتت كلها نحو مصدر الصوت.

صدرت النحنحة عن صاروخ مديد، بادي النفجة، وقد رُبط الى طرف عصا طويلة. وكان من دأبه ان يتنحنح قبل أن يُبدي أية ملاحظة، ليجتذب الانتباه.

قال: «إحم! إحم!» فأصغى الجميع، فيما عدا عجلة كاثرين المسكينة التي كانت ما تزال تهزّ برأسها، وتتمتم، «الرومانسية ماتت!»

وصاح أحد الفراقيع قائلاً: «نظام! نظام!» إنه أقرب ما يكون إلى السياسي، ومن شأنه ان يقوم بدور بارز في الانتخابات المحلية. ولذا فانه يعرف المصطلحات البرلمانية الصحيحة في مثل هذه الأحوال.

وهمست عجلة كاثرين: «ماتت إلى غير ما رجعة!» وغرقت في النوم.

حالما ران الصمت على الجميع، تنحنح الصاروخ للمرة الثالثة، وبدأ الكلام. راح يتكلم بصوت جليّ، شديد البطء، كأنه يملي مذكراته، وينظر دائماً فوق كتف الشخص الذي يخاطبه. والواقع ان طريقته كانت جدَّ متميزة.

قال: «ما أسعده حظاً لابن الملك أن يُزَف في اليوم نفسه الذي سأطْلَق أنا فيه! والحقيقة، أن الأمر لو لم يُرتَّب مسبقاً، لما سُعِد الأمير بمثل هذه المصادفة. ولكن الأمراء دائماً محظوظون.»

فقالت القويذفة الصغيرة: «يا سلام! كنت احسب ان الامر بالعكس، واننا انما سنطلق على شرف الامير.»

فاجاب: «قد يكون ذلك صحيحاً بالنسبة لك. بل انني واثق انه كذلك. اما بالنسبة لي، فالامر يختلف. فانا صاروخ مذهل جداً، سليل والدين مذهلين. كانت امي اشهر عجلة كاثرين في زمانها، ومعروفة برشاقة رقصها. وعندما جاء دورها للظهور على الملأ، دارت تسع عشرة مرةً قبل ان تنطفىء، وكلما دارت دورةً قذفت عنها سبع نجمات وردية. كان قطرها اكثر من متر واحد، ومصنوعةً من اجود البارود. اما ابي فكان صاروخاً مثلي، من اصل فرنسي. وقد حلق عاليا واستمر في التحليق حتى خشي الناس انه لن ينزل ثانية، غير انه نزل، لدماثة طبعه، وكان نزوله وهاجا في شلال من مطر عَسْجَديّ. وقد كتبت الصحف عن أدائه اطراء ومديحاً كبيرين. بل ان جريدة البلاط الرسمية وصفته بانه قمة الفن في الالعاب النارية.»

«تقصد الصعّادات النارية؟» قال احد «الاضواء البنغالية»، واضاف: «هذا ما وجدته مكتوباً على حاويتي.»

أجاب الصاروخ بنبرة جافة: «قلت الالعاب الصعادية!» واحس الضوء البنغالي بان المتحدث هشمه، وراح في الحال يشاكس القويذفات الصغيرة ليدلل على انه ما زال شخصاً له اهميته.

واستمر الصاروخ: «وقلت ـ ما الذي كنت اقول؟»

فاجابت الشمعة الرومانية: «كنت تتحدث عن نفسك.»

ـ «أ، صحيح. اعرف انني اتحدث عن موضوع ممتع عندما قوطعت بوقاحة. وانا اكره القول الوقح والسلوك النابي مهما كان، لانني مرهف الحسّ وليس في العالم كله من هو في رهافة حسي ـ وانا واثق من ذلك».

فسألت فرقاعة الشمعة الرومانية: «ما هو الشخص المرهف الحس»؟

«إنه شخص مقرّح القدمين، فيدوس دائماً على قروح الآخرين»، هكذا أجابت الشمعة الرومانية هامسة، وكادت الفرقاعة تنفجر في ضحكها!

فسألها الصاروخ: «فيم الضحك، رجاءً؟ أنا لست اضحك».

أجابت الفرقاعة: «أضحك لانني سعيدة». فقال الصاروخ غاضباً: «ذلك سبب أناني جداً.

ما الذي يعطيك حقاً في ان تكوني سعيدة؟ ينبغي عليك ان تفكري في الاخرين. والواقع، ينبغي عليك ان تفكري فيَّ انا. فأنا دائماً افكّر في نفسي، وأتوقع من الآخرين ان يفعلوا الشيء ذاته. هذا ما يسمىً بالتعاطف. وهو فضيلة جميلة، أتحلّى بها بشكل وافر. افرضوا، على سبيل المثال، انني أُصبتُ بمكروه هذا المساء، ما أعظم ما ستكون النكبةُ للجميع! لن يعرف الامير والاميرة أيةَ سعادة بعدها، وحياتُهما الزوجية ستتحول إلى

شقــاء. اما الملـك، فاني أعلم انــه لن يحلو لــه عَيْشٌ بعدي. والحقيقــة هي أنني، كلما تــأملت أهمية مكــانتي، اغرورقت عيناي بالدموع».

فصاحت الشمعة الرومانية: «اذا اردت أن تَسُرَّ الآخرين، فعليك ان تتجنّب البَلَل!»

وهتف الضوء البنغالي وقد عاد اليه انتعاشه: «مؤكد! إنه امر منطقي!»

أجاب الصاروخ حانقاً: «منطقي، هه! انت تنسى أنني غير عادي، ومذهلٌ جداً. بوسع أيّ كان ان يتصف بالمنطق، شريطة ان يكون عديم الخيال. اما أنا، فأتمتع بالخيال، لأنني لا أفكر في الاشياء كما هي، بل افكر فيها كأشياء تختلف جداً عما هي عليه. أما بخصوص تجنّبي البلل، فيبدو أنْ ليس هنا الان من يقدّر معنى أن يكون المرء ذا طبيعة عاطفية. وأنا لن يهمني ذلك. فالشيء الوحيد الذي يديم المرء في هــذه الحياة هــو وَعْيُه أن الآخرين جميعاً أقلّ شأناً منه ـ وهذا شعور أنمّيه في نفسي بلا انقطاع. ليس بينكم هنا من له قلب. اراكم جميعاً تضحكون وتمرحون كأن الأمير والأميرة لم يعلنا للتوّ عن زواجهما».

فهتفت نفّاخةُ نار صغيرةٌ متسائلة: «عجيب، ولم لا؟ إنها مناسبةُ فرحٍ عظيمٍ، وعندما أحلّق عاليا في السماء عزمت على أن أنْبىء النجوم بها. ولسوف تراها تتألق عندما أحدّثها عن العروس الجميلة».

أجاب الصاروخ: «آه، يا للتفاهة في رؤيتك الحياة! ولكن ما هذا إلا ما توقعته. فأنتِ ليس فيك من شيء. إنك جوفاء، فارغة. ألا تعلمين أن الأمير والأميرة قد يذهبان للعيش في بلد فيه نهرٌ عميق، وقد لا يكون لهما إلا ابنٌ واحد، صبيٌّ صغير أشقر الشعر بنفسجيُّ العينين كالأمير أبيه، وقد يخرج يوماً للتنزه مع مربّيته، وقد تجلس المربية تحت شجرةٍ وارفة الظلال ويأخذها النوم، وقد يقع الصبي الصغير في النهر العميق، ويغرق. ويا لَلْكارثة المريعة! لقد فقد الوالدان المسكينان ابنهما الوحيد! يا للفاجعة! لن أجد صبراً ولا سلواناً بعدها».

فقالت الشمعة الرومانية: «ولكنهما لم يفقدا ابنهما الوحيد. ولم تُصِبْهما كارثةٌ أو فاجعة».

أجاب الصاروخ: «لم أقل قط إنهما فقدا ابنهما. انما قلت إنهما قد يفقدانه. واذا كانا قد فقدا ابنهما الوحيد، فلا فائدة من المزيد من اي كلام يقال في الامر. إني اكره الناس الذين يبكون على الحليب المسكوب. ولكن عندما افكر في انهما قد يفقدان ابنهما الوحيد، فانني أنفعل جداً».

فصاح الضوء البنغالي: «تنفعل؟ إنك تفتعل ـ بل إنك أشدّ الناس افتعالاً».

قال الصاروخ: «إنك اشد الناس وقاحةً، ولن تستطيع فهم صداقتي للأمير».

فغمغمت الشمعة الرومانية: «ولكنك لا تعرف الأمير».

أجاب الصاروخ: «لم أقل قط إنني أعرفه. وأغلبُ الظن أنني لو كنت اعرفه لما كنت صديقه أبداً. فمعرفة الاصدقاء أمرٌ خطرٌ جداً».

قالت نفّاخة النار: «انتبه وتجنّب البلل. هذا هو المهمّ».

فأجاب الصاروخ: «مهمّ جداً بالنسبة لك، ولا ريب. ولكنني سأبكي إن أنا قررت ان أبكي». وانفجر باكياً بدموع حقيقية سالت على عصاه كقطرات المطر، وكادت تغرق خُنْفُساءتين صغيرتين كانتا للتوّ قد عزمتا على أن تجعلا لهما بيتاً معاً، وراحتا تبحثان عن بقعة يابسة لطيفة تقيمان فيها.

قالت عجلة كاثرين: «لابدّ أنه رومانسيّ الطبع، لأنه يبكي حين لا يكون هناك شيء يدعو إلى البكاء». وتنهّدت تنهّدةً عميقة، وفكّرت في الصندوق الخشبي والقلب الكسير فيه.

غير أن الشمعة الرومانية والضوء البنغالي جعلا يكرران بسخط وباعلى صوتيهما: «نفاق! نفاق!» كلاهما عملي جداً، وكلما اعترضا على أمر، قالا إنه نفاق.

ثم صعد القمر كتُرْسٍ لُجَيْنيّ رائع، وجعلت النجوم تتلألأ، وتهادت من القصر أصوات موسيقى.

كان الأمير والأميرة أول الراقصين. وكان رقصهما جميلاً حتى راحت الزنابقُ البيضاء الفارعة تطلّ من النافذة وترنو إليهما، وأخذت الشقائق الحمراء الكبيرة تهزّ رؤوسَها على ايقاع النغم.

ثم دقت الساعة العاشرة، ثم الحاديةَ عشرةَ، ثم الثانية عشرة، وعند الدقة الأخيرة لمنتصف الليل خرج الجميع إلى الشرفة، وارسل الملك في طلب رئيس الصعادات الملكية.

قال الملك: «لتبدأ الألعاب النارية!»

وانحنى عميقاً رئيس الصعّادات الملكية، وسار نحو الطرف القصيّ من الحديقة، ومعه ستة مرافقين، يحمل كل منهم مشعلاً مُتّقداً في نهاية عصا طويلة.

وكان العرض حقاً رائعاً، باذخاً.

وزّ! وزّ! صوّتتْ عجلة كاثرين وهي تدور وتدور. بُم! بُم! صوّتت الشمعة الرومانية.

ثم راحت القويذفات تتراقص في فضاء القصر، وسَرْبَلت الأضواء البنغالية كلَّ شيء بالقرمزي.

وصاحت نفاخة النار «وداعاً!» وهي تحلّق في الجو وتمطر دقائق الشرَرَ الزرقاء.

بانغ! بانغ! أجابتها الفراقيع، مستمتعةً بلعبها.

كان الكل رائعاً في نجاحه، فيما عدا الصاروخ المذهل. فقد ترطب من جرّاء بكائه، فلم يستطع الانطلاق. أفضل ما فيه هو البارود، ولكنه تبلل بالدموع، وما عاد ينفع في شيء. أقرباؤه الفقراء، الذين ما كان ليخاطبهم إلا متعالياً، انقذفوا في السماء كأزهار ذهبيةٍ عجيبة تنفض عن اوراقها النار. وهتف اهل البلاط: مرحىٰ! مرحىٰ! وراحت الأميرة الصغيرة تضحك ملؤها

السرورُ والفرح.

قال الصاروخ لنفسه: «أحسب أنهم يحتفظون بي لمناسبة كبيرة مهمّة. لا شك ان هذا هو المقصود مني». وبان عليه المزيد من النفجة والكبرياء.

في اليوم التالي جاء العمال لتنظيف المكان وترتيبه. فقال الصاروخ: «من الواضح ان هذا وفد قادم. ولسوف استقبل أفراده برصانة لائقة». ولذا، رفع أنفه، وعبس وتجهّم، كأنه يفكر في موضوع شديد الأهمية. غير أنهم لم ينتبهوا اليه قط، حتى كانوا على وشك المغادرة، حين وقعت عليه عين أحدهم فصاح: «ما هذا؟ صاروخ رديء لم ينطلق!» ورماه فوق الجدار إلى الخندق.

واذ دار في الهواء، قال: «صاروخ رديء؟ صاروخ رديء؟ مستحيل! صاروخ جريء، هذا ما قاله الرجل. جريء لَفْظُها يلتبس مع رديء». وسقط في الوحل.

ثم نظر حوله، وعلّق قائلاً: «ليس المكان مريحاً هنا، ولكن لابد أنه من حمامات الاستشفاء التي يرتادها الأغنياء، حيث ارسلوني لأستعيد صحّتي. فأعصابي محطّمة جداً، وبي حاجةٌ الى الراحة».

عندها سَبَح اليه ضفدعٌ صغير، عيناه كجوهرتين متألقتين، ودثاره أخضر منقط، وقال «زائرٌ جديد، فيما أرى! لا عجب، فليس ثمة ما هو أفضل من الوحل. أعطني طقساً ماطراً

وخندقا، تجعلني أسعدَ الجميع. أتظن أنها ستمطر بعد الظهر. ياليت ! ولكنّ السماءَ زرقاءُ صافية، وياللأسف.»

«إحم، إحم،» قال الصاروخ، وجعل يتنحنح.

«ما أعذبَ صوتَك !» صاح الضفدع. «إنه حقا يشبه النقيق، والنقيق بالطبع أعذب الأصوات في الدنيا. ولسوف تسمع فرقتنا الغنائية هذا المساء. نجلس في بركة البط القديمة قرب منزل الفلاح، وحالما يصعد القمر نبدأ الغناء. وما من أحد إلّا وينتشي به، ويبقى مستيقظاً للاصغاء إليه. والواقع، بالأمس فقط سمعتُ زوجة الفلاح تقول لأمها إنها لم تستطع ان تُغمض عينيها طيلة الليل بسببٍ منا... إنه ليسعدنا أن نجد أن لنا هذه الشعبية الواسعة.».

«إحم ! إحم !» قال الصاروخ مغضباً. لقد أزعجه انه لم يستطع ان يقاطعه بكلمة.

واستمر الضفدع: «صوتٌ جميل، ولا ريب! آمل أن تأتي لتزورنا في بركة البط. أما الآن فاني ذاهب لأبحث عن بناتي. عندي ستُّ بناتٍ جميلات، وأخشى أن يلقاهن النِّمس. وهو وحش شرس، لن يتردد في أن يُفطر عليهن. طيّب، وداعا! تمتعتُ جداً بحديثنا معاً، أي نعم».

فقال الصاروخ: «حديثنا معاً، حقا! كنت تتكلم طوالَ الوقت وحدَك. هل هذا حديث؟»

أجاب الضفدع: «لابد من مستمع» وأنا اتمتع بان اكون

وحدي المتكلم. ففي ذلك توفيرٌ للوقت، ومنعٌ للجدل».

«ولكنني أحبّ الجدل،» قال الصاروخ.

«لا سمح الله!» قال الضفدع راضياً عن نفسه. «الجدل أمر سوقي جدا، لأن الناس في المجتمع المحترم يرون الآراء نفسها... وداعا، مرة أخرى. إني أرى بناتي على بُعدٍ مني». وغادَرَهُ عائماً في اتجاههن.

قال الصاروخ: «إنك شخص مزعج جدا، وسيىء التربية. وأنا اكره الأناس الذين يتحدثون عن أنفسهم، كما تفعل أنت، في حين انني اريد أن أتحدث أنا عن نفسي، كعادتي. وهذا ما اسميه بالانانية، والانانية امر ممقوت، وبخاصة لمن هو في مزاجي، لأني معروف بتعاطفي مع الآخرين، والواقع، ينبغي عليك ان تحذو حذوي، ولن تجد لك قدوةً أفضل مني. والآن ها قد سنحت لك الفرصة، فاغتنمها، لأنني على وشك العودة إلى البلاط. وأنا محبوب جدا في البلاط. بل ان الأمير والأميرة تزوجا أمس على شرفي. انت بالطبع لا تعرف مثل هذه الأمور، لأنك من أهل الريف».

كان هناك يعسوبٌ جاثماً على رأس نبتة حَلْفاء، فقال له: «عبثٌ كلامك إليه عبث، لأنه تركك ورحل».

أجاب الصاروخ: «تلك اذن خسارة له، وليست لي. وأنا لن اكفَّ عن الكلام اليه لمجرد أنه لا يُصغي إليّ. وأنا أحب سَماعَ نفسي اتكلم. هذه إحدى لذائذي الكبرى. كثيراً ما أجري

أحاديث طويلةً مع نفسي، وأنا بارع جداً فيها حتى أنني أحياناً لا أفهم كلمة واحدة مما أقول».

«إذن حريٌّ بك أن تحاضر في الفلسفة!» قال يعسوب ذلك، ونشر جناحيه الشفافين البديعين، وحلّق بعيداً في الفضاء.

فقال الصاروخ: «ما أغباه! لم لمْ يبق هنا؟ لا أشك مطلقاً انه نادراً ما يتاح له مثل هذه الفرصة لكسب المعرفة. ومع ذلك، ما همني أبداً. فالعبقرية التي كعبقريتي لابد أن تجد لها مقدّريها في يوم ما.» وزاد غوره في الوحل.

بعد قليل عامت اليه بطة بيضاء كبيرة، صفراء الساقين، مكفّفة القدمين، يعدها الجميع ذات حسن وبهاء بسبب مشيتها المتهادية.

«وعق، وعق، وعق» قالت البطة. ثم أضافت: «ما أغرب شكلك! هل لي أن أسأل، هل ولدت هكذا، أم أن شكلك نتيجة حادث مؤسف؟»

فاجاب: «من الواضح تماماً انك من سكان الريف، وإلا لعرفت من أنا. ولكنني أعذرك على جهلك. ومن عدم الانصاف أن يتوقع المرء أن يكون الآخرون مذهلين مثله. ولسوف تدهشين ولا ريب إن أنا قلت لك إن بوسعي أن أنطلق عالياً في الفضاء، ثم أنزل في شلال من المطر الذهبي.»

«ثم ماذا؟» قالت البطة. «هل من فائدة من ذلك لأحد؟ ولكن، لو كنت تستطيع أن تحرث الحقول كالجاموس، او تجرَّ عربة

كالحصان، أو تحرسَ الأغنام ككلب الـراعي، لقلت إنك شيء مهم».

فصـاح الصاروخ بنبـرة المتعجرف: «أرى يـامخلـوقتي الطيبة أنك تنتمين إلى الطبقات الدنيا من المجتمع. شخص في موقعي ليس مفيداً أبداً. فنحن نتمتع بمزايا معينة، وفي ذلك الكفاية، وأنا أصلاً لا أتعاطف مع اي عملٍ مهما يكن نوعه، وبألأخصّ تلك الأعمال التي تمتد حينها. بل إنني كنت وما زلت أرى أن العمل الشاقَّ إنما هو ملجأ الأناس الـذين ليس لهم بالمرة ما يفعلونه».

قالت البطة، التي كانت مسالمةً جدا، ولا تخاصم أحداً في الرأي: «طيّب، طيّب. لكل ذوقهُ، والاذواقُ تختلف. ومهما يكن، آمل أنك ستقيم هنا».

فصاح الصاروخ: «لا، لا ياعزيزتي. ما أنا إلا زائرٌ عابر، زائر متميّز. وواقع الأمر، أني اجد هذا المكان مضجراً. فـلا الحياةُ الاجتماعية متوفرة هنا، ولا الوحدة. الحياة هنا حياة سكان الضاحية. في حين انني على الأرجح سأعود الى بـلاط الملك، لأنني أعلم أنه قد كُتب عليّ أن أفعل ما سـوف يحدث ضجيجاً في العالم».

أجابت البطة: «خطر لي يوماً، أنا أيضاً، أن ادخل الحياة العامة، فثمة أمورٌ كثيرة يجب إصلاحُها. بل إنني قبـل مدة ترأستُ اجتماعاً، واتخذنا قرارات تدين كلَّ شيء لا يروق لنا.

ولكن يبدو أنها لم تؤثر في شيء أو أحد. ولذا فانني الآن أفضل الحياة المنزلية وأُعنىٰ بعائلتي».

قال الصاروخ: «أما أنا، فقد خُلقت للحياة العامة، وهكذا خُلق اقاربي كلُّهم، حتى أقلهم شأناً. وكلما ظهرنا، أثرنا الانتباه والاهتمام. أنا نفسي لم أظهر فعلاً حتى الآن، ولكن عندما أظهر، سيكون ظهوري مشهداً رائعاً. أما الحياة المنزلية، فانها تُشيخ المرء بسرعة، وتَشْغَلُه عن الأمور الأسمى والأجَلّ».

فقالت البطة: «آه، الامورُ الأسمى والأجلّ، ما أبدعها! وهذا يذكرني بأنني الآن شديدة الجوع!» وراحت تسبح مع التيار وهي تقول: «وعق، وعق، وعق....».

وبأعلى صوته صاح الصاروخ في إثرها: «ارجعي! ارجعي! عندي الكثير أريد أن احدثك به!» إلّا أن البطة لم تُعِرْه أي اهتمام. فقال لنفسه:

«يُفرحني أنها ذهبت. عقليتُها برجوازيةُ صِرْف».

وغار مزيداً في الوحل، وبدأ يفكر في وحشة العبقريّ، عندما جاء فجأةً صِبيان يلبسان البياض راكضين على الضفة، يحملان إبريقاً معدنياً وعيدانَ حطب.

فقال الصاروخ: «لا بد أن هذا هو الوفد...» وحاول ان يبدو شديد الوقار.

ولكن احد الولدين هتف: «انظر! انظر إلى هذه العصا

السَّمينة! ما الذي جاء بها هنا؟».

قال الصاروخ: «العصا السمينة! مستحيل! العصا الثمينة، ذلك ما قال.... «العصا الثمينة» قول فيه مدح وإطراء. لا شك أنه يحسبني من رجالات بلاط الملك!»

قال الصبيّ الآخر: «فَلْنَضَعْها في النار، تُسرعْ في غليان الابريق».

وهكذا جعلا يكوّمان أعواد الحطب، ووضعا الصاروخ فوقها، وأشعلا النار.

فصاح الصاروخ: «رائع! سوف يطلقانني في واضحة النهار، لكيما يراني الجميع».

قال الصبيّان: «لنُخْلِدْ الى النوم، وعندما نستيقظ، سنجد الإبريق يغلي». واضطجعا على العُشب، وأغمضا عيونهما.

ولما كان الصاروخ شديد الرطوبة، استغرق وقتاً طويلاً قبل أن يشتعل. ولكنّ النار، في النهاية، أدركتْه.

وعندها هتف: «الآن سأنطلق!»

واستقام ووتّر نفسه، وهو يقول: «أعلم أنني سأحلّق عاليا، أعلى كثيراً من النجوم، وأعلى كثيراً من القمر، وأعلى كثيراً من الشمس... بل إنني سأحلّق إلى حيث..».

فِزّ! فِزّ! فِزّ! وانطلق عمودياً في الفضاء.

وصاح: «جميل! سأبقى منطلقاً هكذا الى الأبد! ما أروع نجاحي!».

ولكن لم يَرَهُ أحد.

ثم انتابه شعور غريب بالدغدغة. فصاح: « والآن، سأنفجر ! ولسوف أُشعل العالم كلَّه، وأحدث دويًا سيجعل الناسَ لا يتكلمون إلاّ عنّي طوال سنةٍ بكاملها».

وهو فعلاً قد انفجر. بانغ ! بانغ ! بانغ !. هكذا صَوَّتَ البارود. ما في ذلك من ريب.

ولكن لم يسمعْه أحد. حتى الولدان الصغيران لم يسمعاه، لانهما كانا غارقين في النوم.

ثم لم يبقَ منه إلا العود، وهذا العود سقط على ظهر إوزةٍ كانت تتمشىّ بجانب الخندق.

فصاحت الاوزة: «ياساتر ! ستُمطر السماءُ عيداناً !» وقذفت بنفسها إلى الماء.

وحشرج الصاروخ يقول: «كنت أعرف أنني سأحدث ضجيجاً عظيماً في العالم». وانطفأ.

الخل الوفي

في صباح ذات يوم اخرج جرذ الماء العجوز رأسه من وكره. وكانت له عينان كخرزتين متلألئتين، وشاربــان مستقيمان في لون الرماد، وذنب كقطعة طويلة من المطاط الاسود. وكــانت صغار البط تعوم في البركة وهي تشبه عصافير الكنار الصفراء، وامها بلونها الابيض الناصع ورجليها الحمراوين تحاول ان تعلمها كيف تقف على رؤوسها في الماء.

وراحت تكــرر لصغارهــا القول: «لن تختلطـوا في احسن الطبقات الاجتماعية الا اذا استطعتم ان تقفوا على رؤوسكم. وجعلت بين آن وآن تريها كيف تفعل ذلــك. غير ان البطــات الصغار لم تأبه لها، لانها كانت صغيرة جداً في السن، ولا تدرك فائدة الاختلاط في احسن الطبقات الاجتماعية.

فصاح جرذ الماء العجوز: «يا لهم من ابناء عــاقين! انهم ليستحقون الغرق».

فاجابت البطة قائلة: «هذا غير صحيح. لابد لكل واحد منا من ان يتصعب في البدء، وعلى الأم ان تتحلى بالصبر الجميل.»

قال الجرذ: «آه، لست ادري شيئاً عن شعور الامهات. فأنا



لا التزم الحياة العائلية بل انني لم اتزوج قط ولا انوي الزواج ابدا. لا بأس بالحب، اذا كان لابد منه، ولكن الصداقة شيء اسمى وارفع. انني والله لا اعرف شيئاً في الحياة أندر او اكثر نبلاً من خل وفي.»

وكان على مقربة منه شجرة صفصاف، جلس على غصن منها عصفور اخضر سمع ما قاله جرذ الماء، فسأله: «الا قل لي، لا فض فوك، ما واجبات الخل الوفي؟»

وقالت البطة: «اجل، ما واجبات الخل الوفي؟» ثم عامت الى الطرف الاخر من البركة، ووقفت على رأسها لتكون مثلاً صالحاً لابنائها.

فصاح الجرذ: «ما اسخف هذا السؤال! انني بالطبع انتظر من خلي الوفي ان يكون وفياً لي.»

فقال العصفور الصغير وهو يتأرجح على فننٍ فضي ويرفرف بجناحيه الصغيرين: «وماذا تفعل انت مقابل ذاك؟»

اجاب الجرذ قائلاً: «لا افهم ماذا تعني.»

فقال العصفور: «دعني اقص عليك قصة في هذا الموضوع.»

فسأله الجرذ: «وهل القصة عني؟ ان كانت عني اصغيت اليها بشغف، لانني مولع جداً بالقصص.»

فأجابه العصفور: «يمكن تطبيقها عليك.» ثم طار وحط على ضفة البركة، وسرد عليه قصة «الخل الوفي».

قال العصفور: «كان في يوم من الايام رجل صغير أمين يدعى هنس.»

فسأله الجرذ: «وهل كان شخصية متميزة؟»

فاجاب العصفور: «لا، لست اظن انه كان يتميز عن احد الا بطيبة قلبه. ووجهه المستدير الصبوح. وكان هذا الرجل يعيش وحده في كوخ صغير، ويشتغل كل يوم في حديقته. ولو طفت في الريف كله لما رأيت حديقة في جمال حديقته، فقد كان فيها الزهر من كل نوع تشتهيه. فيها الورد الدمشقي الاحمر وفيها الورد الاصفر، فيها الزعفران من ذهبي وليلكي، والبنفسج من ابيض وارجواني فيها الزنبق والياسمين، والنرجس والريحان، فيها القرنفل وقرن الغزال وفم السمكة، يتفتح كل في دوره من السنة فتمتلىء الحديقة دوما بالوان تلذ للعين وعطور تلذ للانف.

وكان لهنس الصغير اصدقاء كثيرون، ولكن أوفاهم كان «هيو» الطحان الكبير. ولقد كان هذا الطحان الغني مخلصاً جداً لهنس الصغير فكلما مر بحديقته اطل من على السور وقطف باقة كبيرة من الزهر، او ملأ كفه بحفنة من العقاقير الزكية، او افعم جيوبه بالخوخ والكرز اذا كان الفصل فصل الثمر.

وكان الطحان يقول: «ان الخلان الاوفياء يشتركون في كل شيء.» فيهز هنس الصغير رأسه موافقا، ويبتسم مزهوا



بصداقة رجل له مثل هذه الاراء النبيلة.

وكان الجيران احياناً يدهشهم من الطحان الغني انه لا يمنح هنس الصغير شيئاً مقابل ذلك، مع ان لديه مئة كيس من الطحين مخزونة في المطحنة، وست بقرات حالبات، وقطيعاً كبيراً من الغنم ذي الصوف الكثير. غير ان هنس لم يزعج نفسه بمثل هذه الخواطر، فقد كان امتع شيء عنده الاصغاء الى اقوال الطحان الجميلة عن الايثار بين الحميمين من الاصدقاء.

وهكذا راح هنس الصغير يعمل ويكدح في حديقته. وهو في الربيع والصيف والخريف سعيد جداً. ولكن اذا قدم الشتاء، ولم يكن لديه زهر ولا ثمر ينزله الى السوق، راح يعاني الم البرد والجوع، وكثيراً ما اضطر الى الايواء الى فراشه دون عشاء سوى بضع اجاصات يابسات او جوزات متحجرات. وكان في الشتاء يعاني ايضاً آلام الوحشة، لان الطحان لا يذهب لزيارته طيلة الفصل.

وكان من دأب الطحان ان يقول لزوجته: «من العبث ان ازور هنس الصغير ما دام الثلج على الارض، اذ من العيب ازعاج الناس بالزيارات في مصائبهم. هذا رأيي في الصداقة، وانا مصيب فيه. ولهذا فسوف انتظر حتى مقدم الربيع، وحينئذ ازوره، واحصل منه على سلة كبيرة من الزهور ولسوف يفرحه ذلك كثيراً».

فتقول زوجته وهي في مقعدها الوثير قرب نار اخشاب

الصنوبر المستعرة: «انك حقاً كثير الاهتمام بمصالح الاخرين، كثير الاهتمام جداً. ويلذ للمرء ان يصغي اليك وانت تتحدث عن الصداقة. بل ان القسيس نفسه لا يستطيع ان يفوه باقوال جميلة لها من الجمال ما لأقوالك، وان يكن ساكنا في دار ذات ثلاثة طوابق، ويلبس خاتماً ذهبياً في بنصره».

ويقول ابن الطحان الاصغر: «ولكن الا نستطيع ان ندعو هنس الصغير ليقيم معنا؟ فاذا كان هنس المسكين جائعا اعطيته نصف ما في صحني، وأريته أرانبي البيضاء».

فيصيح به الطحان: «ما اسخفك من ولد! لست ادري ما نفع ارسالك الى المدرسة، انك لا تتعلم شيئاً مطلقاً. الا تعلم اذا جاء هنس الصغير الى بيتنا، ورأى نارنا المستعرة، وعشاءنا اللذيذ، وزجاجة خمرنا الكبيرة، قد يحسدنا، والحسد امر مريع يفسد على المرء حياته؟ والله لن افسد على هنس حياته. وبما انني أوفى اصدقائه، فسأحرسه بعنايتي واحفظه من الغوايات والتجارب. وفضلا عن هذا، اذا جاء هنس الى هنا قد يطلب مني ان اعطيه كيساً من الطحين بالدين، وهذا امر لا اقوى عليه، فالطحين شيء والصداقة شيء اخر، وعلينا الا نخلط بين الاثنين. بل ان الكلمتين مختلفتان في تركيب الاحرف، ولكلتيهما معنى يختلف عن معنى الاخرى. انه شيء واضح» فهتفت زوجته وهي تصب لنفسها كأساً كبيرة من الجعة الساخنة: «ما أشد فصاحتك! ولكنني اشعر الان بالنعاس كأنني في الكنيسة



ساعة الوعظ.»

ويجيب الطحان: «ما اكثر من يحسنون الفعل، وما اقل من يحسنون الكلام. وهذا دليل على ان الكلام اصعب من الفعل واجمل منه بكثير». ثم ينظر عابساً الى ابنه الجالس على الطرف الاخر من المائدة، وقد شعر هذا بالخجل وطأطأ برأسه واحمر وجهه، وجعل يبكي وهو يشرب الشاي. ولكن علينا ان نتسامح معه لانه كان صغيرا جدا في السن».

فقال جرذ الماء: «اهذه نهاية القصة؟»

فاجاب العصفور: «طبعا لا. هذه البداية.»

فقال جرذ الماء: «اذن فانت متخلف جداً عن العصر. فكل قصاص ماهر اليوم يبدأ بالنهاية، ثم يعرج على البداية ويختتم القصة بوسطها. هذه هي الطريقة الجديدة قبل ايام سمعت ناقدا يتحدث عنها وهو يتمشى حول البركة مع غلام شاب. وقد تحدث وأفاض في الحديث، ولا ريب انه كان مصيباً فيما يقول، لانه كان يلبس نظارات زرقاء، وكان رأسه اصلع، وكلما ابدى الشاب ملاحظة قال الناقد: «هراء»! ولكن ارجوك ان تستمر بقصتك. انني احب الطحان جداً فانا ايضاً لي قلب مترع بالعواطف الجميلة ولهذا تروق لي شخصيته.»

قال العصفور وهو يقفز تارة على رجل وتارة على الاخرى: «ولما انقضى الشتاء وطفقت الاقاحي تتفتح كالنجوم، قال الطحان لزوجته انه سيذهب الى زيارة هنس الصغير.

فصاحت زوجته: «ما أرق قلبك. انك دائماً تفكر في الاخرين. لا تنس ان تأخذ السلة الكبيرة لتملأها بالزهور.»

فربط الطحان اشرعة المطحنة الهوائية بسلسلة قوية من الحديد، ونزل العقبة والسلة على ذراعه.

قال الطحان: «صباح الخير يا هنس الصغير.»

فاجابه هنس وهو متكىء على معوله، وقد ابتسم ابتسامة عريضة: «صباح الخير.»

قال الطحان: «كيف قضيت الشتاء؟»

فصاح هنس: «انه لمن لطفك الكثير ان تسألني هذا السؤال. لقد تصعبت والله جداً في الشتاء ولكن هذا الربيع قد جاء وانا سعيد وزهوري بدأت تتفتق عن براعمها.»

قال الطحان: «كثيراً ما تحدثنا عنك في اثناء الشتاء يا هنس وتساءلنا عن احوالك».

«كان ذلك من لطفكم الكثير. لقد كدت اخشى انك نسيتني».

«انك تدهشني يا هنس. الخل لا ينسى ابداً. وهذا اعجب ما في الصداقة. ولكن اخشى انك لا تفهم شعر الحياة. وبهذه المناسبة، ما اجمل زهورك!»

فاجاب هنس: «اجل انها جميلة جداً وانه لمن حسن حظي ان تكون لدي زهور كثيرة. سآخذها جميعاً الى السوق وابيعها الى ابنة رئيس البلدية واسترد بالمال عربة اليد التي كانت عندي.»

«تسترد عربة اليد التي كانت عندك؟ وهل بعتها حقاً؟ ياله من فعل أحمق!»

«ألحق انني اضطررت الى بيعها. فقد وجدت مشقة هائلة في الشتاء، ولم يكن لدي مال لشراء خبز اسد به الرمق. ولهذا بعت اولا الازرار الفضية التي كانت في المعطف الذي البسه يوم الاحد ثم بعت سلسلتي الفضية ثم غليوني الكبير، واخيرا بعت عربة اليد. ولكنني سانستردها جميعاً الان.»

فقال الطحان: «ساعطيك عربة اليد التي عندي يا هنس. وهي ليست في حالة حسنة، بل ان احد جوانبها مفقود، وفي العجلة. خلل يعيقها عن الحركة. ولكن بالرغم عن هذا سوف أهبك اياها. لا تحسب انني لا اعرف ان هذا كرم مني وسيعدني الكثيرون مجنوناً لمنحي اياك هذه العربة بيد انني لست كباقي الناس في هذه الحياة. انني اعتقد ان الكرم هو روح الصداقة ـ وفضلا عن هذا، فقد ابتعت لنفسي عربة جديدة. اجل أرح ذهنك يا صاح، فسوف اعطيك عربتي.»

فشاع السرور في وجه هنس المستدير وقال: «ما اكرمك يا عزيزي. ساصلح ما فيها من خلل بسهولة، اذ لدي لوح من الخشب في الدار.»

فصاح الطحان: «لوح من الخشب؟ ذلك ما كنت اريد لسطح مخزني. ففي السطح ثغرة كبيرة وسيتلف القمح ان لم اسدها. ما احسن حظي بذكرك لوح الخشب! اليس عجيباً



كيف يلد العمل الصالح عملا صالحا اخر؟ لقد اعطيتك عربتي، وها انت ستعطيني لوحك الخشبي. ان العربة اثمن بكثير من اللوح، ولكن الخل الصحيح لا يأبه لامور كهـذه. من فضلك اعطني اياه في الحال لكي ابدأ بالعمل في مخزني اليوم.»

فصاح هنس: «طبعاً اعطيك اياه!» وركض الى الكشك حيث اخرج لوح الخشب.

فتفحص الطحان اللوح وقال: «هذا لوح صغير واخشى انه بعد سد الثغرة في مخزني لن يبقى منه ما يكفي لتصليح عربة اليد. ولكن كما تـرى، ليس الذنب ذنبي. والان وقـد وهبتك عربتي لاشك انك تود ان تعطيني مقابلها شيئاً من زهورك. هاك السلة، املأها ما استطعت.»

فسأله هنس: «اتريدني ان املأها؟» وكان في صوته شيء من الحزن لانها كانت كبيرة جداً واذا ملأها لم يبق له من الزهور شيء ينزله الى السوق لكي يسترد بالمال ازراره الفضية التي كان يشتهي رؤيتها مرة اخرى.

فاجابه الطحان: «اتظن انني مبالغ في الطلب اذا طلبت منك بضع زهور وانا قد اعطيتك عربتي؟ قد اكون مخطئاً في رأيي، ولكنني كنت احسب ان الصداقة، الصداقة الخالصة، خلو من الانانية مهما كان نوعها.»

فصاح هنس: «يا صديقي العزيز، يا اعز اصدقـائي، لن أبخل عليك بكل ما في حديقتي من زهور. خير لي ان اكون عند

حسن ظنك بي من ان احصل علـى ازراري الفضية.» وراح مسرعاً يقطف ازاهيره الجميلة الى ان ملأ سلة الطحان.

قال الطحان: «وداعاً يا هنس الصغير»! وصعد التلة ولوح الخشب على كتفه، والسلة الكبيرة في يده.

وقال هنس: «مع السلامة»! وجعل يحفر الارض مرحا وقد سر جداً للعربة التي وعده الطحان بها.

وفي اليوم التالي كان يدق المسامير ليثبت نبتة متسلقة على مدخل كوخه واذا الطحان يناديه من الطريق. فقفز عن سلمه وركض عبر الحديقة وأطل من على السور. فرأى الطحان حاملا على ظهره كيساً كبيراً من الطحين.

قال الطحان: «عزيزي هنس الصغير بالله عليك احمل لي هذا الكيس الى السوق.»

قال هنس: «آه، آسف. انني مشغول جداً اليوم. علـيّ ان اثبت المتسلقات وأسقي الزهور واقص الحشائش.»

فقال الطحان: «أليس من العيب على صديق مثلك ان يرفض طلبي هذا وانا قد عزمت على منحك عربتي؟»

فصاح هنس الصغير: «بربك لا تقل ذلك. صداقتك خير لي من مال الدنيا.» وركض الى كوخه حيث احضر قبعته ثم حمل الكيس الضخم على منكبيه، وراح يمشي تحته متمايلاً.

وكان اليوم حارا قائظا والطريق كثيرة الغبار فخارت قوى هنس وجلس ليستـريح قبـل ان يقطع الميـل الســادس من

الطريق. على انه استمر بعد ذلك بعزم شديد الى ان بلغ السوق وبعد مدة قصيرة باع كيس الطحين بمبلغ طيب من المال وفي الحال قفل راجعاً لانه خشي ان هو توانى في العودة ان يقابله اللصوص على الطريق.

ولما آوى هنس الى فراشه، حدّث نفسه قائلاً: «لقد كان هذا يوماً شاقاً غير انني مسرور بارضائي الطحان فهو اعز اصدقائي. ثم انه ينوي ان يمنحني عربته.»

وغداة اليوم التالي جاء الطحان مبكراً ليأخذ ثمن كيس الطحين. ولكن هنس الصغير كان لا يزال في فراشه لشدة اعيائه.

فقال الطحان: «والله انك لكسول! أولم اخبرك بانني قد عزمت على منحك عربتي؟ افليس جديراً بك ان تضاعف همتك في العمل؟ ان الكسل خطيئة لا تغتفر، ولست ارغب في صديق كسول. ارجو الا تغضب لصراحتي في القول، اذ ما كنت اصارحك القول لو لم اكن صديقك. ولكن ما نفع الصداقة اذا لم ينطق المرء بما في قلبه؟ الكل قادر على الاطراء لارضاء الغير وتملقهم غير ان الصديق الصحيح يقول دائماً مالا يرضي صديقه ولا يتورع عن ايلامه. بل انه ـ اذا كان حقا صديقاً صحيحاً ـ يؤثر هذا النوع من القول لانه كلما تفوه به ادرك انه يفيد صاحبه.»

فقال هنس الصغير وهو يفرك عينيه ويخلع غطاء رأسه

الليـــلي: «انني آسف جـداً. لكنني كنت متعبــاً فقلت لنفسي سأضطجع في فراشي واستمع الى تغريد العصافير. اتعلم انني ازداد نشاطاً في العمل بعد ان استمع الى العصافير.»

فهتف الطحان وهو يضرب على ظهر هنس الصغير تودداً: «حسنا جداً انني مسرور بما تقول لانني اود منك ان تأتي معي الان الى المطحنة حالما تلبس ثيابك لكي تسد الثغـرة التي في سطح مخزني.»

كم كان يشتهي هنس المسكين ان يقوم ليشتغل في حديقته، وزهوره لم تسق ليومين كاملين ولكنه لم يشأ ان يخيب الطحان، صديقه الحميم.

ولذا سأله بصوت حيي متردد: «اتظن بي سوءاً ان انا قلت انني مشغول»؟

فاجابه الطحان قائلاً: «اتظن انني ابالغ في الطلب وانا قد عزمت على منحك عربتي؟ ولكن ان شئت الا تجيب على طلبي ذهبت وقمت بالعمل بنفسي».

فصاح هنس الصغير: «لا ابدا ابدا». وعلى الفور قفز من فراشه، ولبس ثيابه، وذهب الى مخزن المطحنة.

واشتغل هناك طيلـة النهار حتى اذنت الشمس بـالمغيب وحين غابت الشمس جاءه الطحان وسأله بصوت طروب: «هل سددت الثغرة التي في السطح يا هنس الصغير»؟

فاجاب هنس: «اجل سددتها». ونزل عن السلم.

فقال الطحان: «ليس في الدنيا عمل اطيب من العمل لمنفعة الاخرين» فرد هنس الصغير عليه قائلاً، وهو يجلس ويمسح عرق جبينه: «انه لشرف عظيم ان اسمع اقوالك، وكم أتمنى لو ان لي افكاراً مثل افكارك الجميلة»!

قال الطحان: «آه يا صاح ستأتيك يوماً مثل هذه الافكار ولكن عليك الان ان تشد من همتك في العمل. انت الان انما تعرف تطبيق الصداقة ولكنك يوما ما ستعرف نظريتها ايضاً».

فسأله هنس: «اتظن انني سأعرفها يوما؟»

فاجابه الطحان: «لا شك عندي مطلقاً. اما الان وقد انجزت مهمتك في المخزن فانصحك ان تعود الى بيتك وترتاح لانني اود منك ان تسوق اغنامي الى الجبل في الغد.»

وخاف هنس المسكين ان يحتج على ذلك. وفي صباح اليوم التالي جاء الطحان مبكراً الى كوخه مع قطيع اغنامه فساقها هنس الى الجبل واستغرقه الذهاب والاياب نهاراً كاملاً عاد في آخره منهوك القوى وسقط نائماً في كرسيه ولم يستفق حتى كانت الشمس قد تدفقت في غرفته.

فقال: «ما الذ الوقت الذي ساقضيه في حديقتي اليوم!» وراح في الحال يشتغل.

ولكنه لم يستطع قط أن يعنى بزهوره لان الطحان دأب على المجيء اليه كل يوم ليرسله هنا وهناك او يشغله في المطحنة. وكان هنس الصغير يتكدر جداً احياناً، اذ يخشى ان تظن زهوره

انه سها عنها ولكنه كان يعزي نفسه بان الطحان اخلص خلانه ثم يقول لنفسه: «وفضلا عن هذا فقد وعد ان يهبني عـربته وهذا هو الكرم بعينه».

وهكذا راح هنس المسكين يعمل للطحان والطحان يبتدع اقوالا جميلة في الصداقة، كان هنس يدونها في دفتره ويعيد قراءتها في الليل لانه كان من طلاب الأدب والمعرفة.

وحدث ذات ليلة بينما كان هنس الصغير جالساً قرب مدفأته ان سمع قرعا عنيفا على الباب. كانت ليلة اشتد صخبها والريح تصفر وتزمجر حول بيته فظن ان ذلك الصـوت هو ضجيـج العاصفة. ولكنه سمع القرع ثانية، ثم سمعه ثالثة أعنف جدا من ذي قبل.

قال لنفسه وهو يسرع نحو الباب: «لعله مسافر مسكين.»

واذا الطحان واقف بالباب وقد حمل قنديلا في يد وعصـا ضخمة في الاخرى.

وصـاح الطحان: «عـزيزي هنس الصغـير انني في كرب عظيم. لقد وقع ولدي الصغير من على السلم وآذى نفسه فرحت في طلب الطبيب، ولكنه يسكن في مكان بعيد جدا والليلة عاصفة غاضبة فخطر لي انه من الافضل ان تذهب انت اليه عوضـا عني. فانت تعلم انني قد عزمت على منحك عربتي ومن اللائق ان تعمل لي شيئاً مقابل ذلك.»

فصاح هنس الصغير: «لا ريب. انه لاطراء منك ان تأتي اليّ

في مثل هذه الساعة ولذا فسأخرج في طلب الطبيب في الحال. ولكن عليك ان تعطيني قنديلك لان الليلة حالكة السواد، واخشى ان اقع في حفرة على الطريق.»

فاجابه الطحان: «آسف جداً - ان هذا قنديلي الجديد واذا اصابه اذى كان ذلك خسارة لي لا تعوض.»

فصاح هنس الصغير: «لا بأس اذن. ساذهب من دونه. ولبس معطفه الكبير، وطاقيته الحمراء ولف لفافاً حول عنقه وخرج.

كانت عاصفة هوجاء مخيفة والليل حالك السواد حتى كاد هنس لا يرى الطريق امامه والريح شديدة حتى كاد لا يقوى على الوقوف على قدميه ولكنه كان ذا شجاعة فائقة. وبعد ان مشى زهاء ثلاث ساعات بلغ دار الطبيب وقرع على الباب.

فأخرج الطبيب رأسه من نافذة غرفة نومه وصاح: «من ذاك؟»

- «هنس الصغير يا دكتور.»

- «ماذا تريد يا هنس الصغير؟»

- «لقد وقع ابن الطحان من على السلّم وآذى نفسه فالطحان يود منك ان تذهب اليه في الحال.»

فقال الطبيب: «طيب، طيب»، وامر بتهيئة حصانه وحذائه الثقيل وقنديله ثم نزل وركب الحصان وقصد الى دار الطحان وهنس يمشي ثقيل الخطى وراءه.

بيد ان العاصفة اشتدت عنفاً وطفقت شآبيب المطر تتدفق من السماء فلم يعد هنس يرى طريقه او يحافظ على سيره وراء الحصان. واخيراً ضلّ السبيل، وتـاه في ارض خطرة مـلأى بالحفر، وفجأة وقع في حفرة عميقة مملوءة بالماء، وغرق فيها... وقد عثر على جثته جماعة من الرعاة في اليوم التالي وهي عائمة على سطح بركة كبيرة. فحملوها الى كوخه.

ولما كان هنس الصغير محبوباً من الجميع خرج الناس كلهم في جنازته وكان الطحان اكثرهم حزناً عليه ورثاء له.

قال الطحان: «بما انني كنت أخلص خلانه، فمن اللائق ان احتل ابرز مكان من الجنازة.» وهكذا مشى في رأس الجنازة وقد ارتدى عباءة سوداء طويلة وراح بين الفينـة والفينة يجفف عينيه بمنديل كبير.

ولما انتهت الجنازة وجلس الجميـع في مقاعـد مريحـة في الحانة وجعلوا يشربون النبيذ الطيب النكهة ويأكلون الكعك الحلو، قال الحدّاد: «والله ان موت هنس الصغير خسارة لا تعوض للجميع.»

فاجاب الطحان: «ان موته خسارة لي انا على الاقل. كنت قد اوشكت ان اعطيه عربتي اما الآن فلا ادري ماذا اصنع بها، انها عرقلة مزعجة في الدار، وهي مخلّعة لن يشتريها احد مني بدرهمين.» ثم جرع جرعة كبيرة من النبيذ واردف قائلاً: «يجب ان اكون حريصاً على مالي في المستقبل فلا اهب احداً شيئاً. لان

كرم المرء يصبح دائماً سبباً في مضايقته وازعاجه.»

* * *

وبعد وقفه طويلة قال جرز الماء: «ثم ماذا؟»

فقال العصفور: «تلك كانت النهاية.»

فسأله الجرز: «ولكن ماذا حدث للطحان؟»

فاجابه العصفور: «لست في الحق أدري، ولكن لا يهمني ابدا ماذا حدث له.»

فقال الجرز: «اذن يتضح لي ان ليس في قلبك ذرة من العطف.»

فقال العصفور: «يخيل الي انك لم تفهم مغزى القصة.»

فصاح الجرز: «لم افهم ماذا؟»

«مغزى القصة.»

«أتعني ان لقصتك مغزى؟»

«لا شك.»

فقال الجرز في لهجة غضب: «ألم يكن من الواجب عليك اذن ان تخبرني بذلك قبل ان تبدأ؟ فلو كنت اخبرتني لما اصغيت اليك مطلقاً بل لكنت قلت كما قال الناقد: «هراء.» ونفض ذنبه ورجع الى وكره.

وبعد دقائق، جاءت البطة عائمة الى العصفور وسألته قائلة: «ما رأيك في جرز الماء؟ ان له عدة محاسن لا تنكر غير ان شعوري انا شعور ام، ولذا لا استطيع وقف الدموع في عيني

كلما رأيت اعزب مثله يرفض الزواج.»

فاجابها العصفور: «اخشى أنني قد ازعجته، فقـد سردت عليه قصة ذات مغزى.»

فقالت البطة: «آه، ذلك دائماً شيء خطر.»

وانا اوافقها على ذلك.



وزارة الثقافة والاعلام
دار ثقافة الاطفال
سلسلة مكتبتنا

هذا الكتاب

* «الامير السعيد وحكايات اخرى» من عيون الادب الانكليزي، ومن أجمل ما كتب اوسكار وايلد وقد حظيت هذه الحكايات بشعبية كبيرة حال نشرها في اواخر القرن الماضي وما زالت تتمتع بهذه الشعبية في معظم انحاء العالم.

* تجوهر هذه الحكايات بعض نواحي أسلوب اوسكار وايلد، وتبرز إيمانه بقداسة الحياة والبراءة الطفولية، وحبه للفقراء والمضطهدين، وسخريته من ذوي النفاق والغرور.

* لئن تكن هذه حكايات للصغار، فقد أراد لها المؤلف ان يقرأها الكبار قبلهم ـ الامر الذي يفسّر العديد مما فيها من النقدات المتقصّدة والمفارقات الساخرة، الى جانب براعتها لغةً وصياغة.



السعر ١,٢٥٠ دينار

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ٢ ...
شركة النصور للطباعة المحدودة ـ تلفون ٤١٦٣١٥٢